

# المنظمة واختبار تقلبات الدهر: استعراض لمائة وخمسين عامًا من تاريخ اللجنة الدولية للصليب الأحمر

دانيال بالميري\*

يشغل "دانيال بالميري" منصب مسؤول الأبحاث التاريخية باللجنة الدولية للصليب الأحمر، وله عدد كبير من المؤلفات عن تاريخ اللجنة الدولية وتاريخ الحرب.

## ملخص

يوضح هذا المقال كيف تمكنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، كونها أقدم منظمة إنسانية دولية لا تزال تمارس نشاطها، من الاستمرار على ساحة العمل الإنساني لمائة وخمسين عامًا من نشأتها. ويتوصل هذا المقال إلى سمتين ربما تساعدان على شرح أسباب استمرارية اللجنة الدولية وخصوصيتها الفريدة وقدرتها الابتكارية وذلك من خلال تحليل بعض اللحظات المهمة في تاريخ اللجنة الدولية ومن خلال دراسة كل من أسلوب عملها الداخلي وتفاعلها مع السياق الذي مارست فيه المنظمة عملها على مدار الوقت.

.....

وُلدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر من رحم رهان على المستقبل وضعه خمسة من مواطني مدينة جنيف. فقد اجتمع المواطنون الخمسة في 17 فبراير/ شباط 1863 للنظر في المقترحات

\* كُتِبَ هذا المقال بصفة شخصية ولا يعكس بالضرورة وجهات نظر اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وكُتِبَت النسخة الأصلية من هذا المقال باللغة الفرنسية.

التي تقدم بها واحد منهم والمشاركة سويًا في تشكيل "لجنة دولية دائمة"<sup>1</sup>. القصة مشهورة، إلا أن الأسباب التي دفعت "دونان" وزملاءه إلى اعتبار عملهم عملاً دائماً بالضرورة أقل شهرة من القصة، ولا سيما الأسباب الموضوعية التي مكنت اللجنة الدولية من المثابرة عبر التقلبات الكثيرة التي واجهتها خلال المائة والخمسين عامًا المنصرمة، وإن كانت ثمة أحداث متباينة تمثل فترات تراجع لها، كما سيتضح لنا.

ليس من اليسير أن نلخص في مقال واحد مائة وخمسين عامًا من نشاط أقدم منظمة إنسانية، فهذه المهمة تتضمن انتقاء بعض الخيارات. ويؤدي الاختيار، بدوره، إلى إظهار الذاتية وهي سمة تبرز من خلال حقيقة مفادها أن المؤلف عمل لسنوات طويلة لدى المنظمة التي يجري تحليلها. وبالتالي سيتفهم القارئ أن المقال لا يعكس سوى الرأي الشخصي للمؤلف. وإن التحدي الآخر يتمثل في إيجاد تسلسل منطقي لهذا التاريخ بغية تجنب خروج المقال في صورة سرد للأحداث. وكان الخيار الذي تم انتقاؤه هو الوقوف على بعض اللحظات المهمة في تاريخ اللجنة الدولية فقط ومحاولة فهم تطور المنظمة على مدار القرن ونصف القرن الماضي من خلال نقاط التحول أو المحطات الفاصلة أو مراحل الاندماج هذه.

## 1863 - 1864: نقطة البدء

إن تكوين أي فكرة عن الفترة الطويلة التي عاشتها اللجنة الدولية يبدأ بالضرورة من مولدها. وبالإضافة إلى ذلك، يسلط العامان المهمان اللذان شهدا تأسيس المنظمة ونيلها اعترافاً دولياً الضوء على العنصرين المترابطين الذين يتفاعلان مع بعضهما البعض على مدار تاريخها وهما: أسلوب العمل الداخلي للمنظمة والسياق الذي تمارس فيه أنشطتها.

أخذت اللجنة الدولية شكل جمعية عند مولدها في 17 فبراير/ شباط 1863، وهذا يعني أنها جمعت عدة أشخاص يسعون وراء هدف مشترك. ولم يكن الهيكل الذي وقع عليه الاختيار فريداً من نوعه. فقد كان يتفق مع الهيكل الأكثر شيوعاً في ذلك الوقت، سواء في أوروبا أو أمريكا الشمالية، للمنظمات التي يؤسسها أفراد بصفتهم الشخصية.<sup>2</sup> ورغم أن القطاعات الدينية والمهنية والتجارية كانت على معرفة جيدة بالجمعيات، فإن الطبقات المتوسطة اكتشفتها في بداية القرن التاسع عشر في إطار الأنشطة الثقافية والاجتماعية. وبالتالي استندت اللجنة الدولية إلى نموذج قائم بالفعل. وكان البعد العالمي للمنظمة هو الابتكار الجديد الذي جاء به مواطنو جنيف الخمسة.<sup>3</sup> وكان الابتكار مزدوجاً. أولاً: تميزت اللجنة الدولية عن الشخصية المحلية، أو في أفضل الأحوال، الوطنية التي كانت سمة خاصة من سمات الجمعيات الأخرى. وتجاوزت طموحاتها الحدود وكانت لها صفة دولية واضحة شأنها شأن الحرب، وكان كيانها الذاتي هو أساس الأنشطة التي تنوي الاضطلاع بها. ولكن اللجنة الدولية منحت معنى جديداً لفكرة "الدولية" هذه لأنها لم تعد تشارك في تنظيم العلاقات بين الدول، بل بالأحرى تلك

1 ICRC Archives A PV, Minutes, Commission spéciale de la Société [d'utilité publique] en faveur des militaires blessés durant les guerres [Special Commission of the Society (of Public Welfare) in Favour of Soldiers Wounded During the Wars], 17 February 1863.

2 Jean Desfrane, *Histoire des associations françaises*, L'Harmattan, Paris, 2004.

3 ولكن يجب توضيح هذا لأن اللجنة الدولية كانت تستهدف العمل في ما يتصل بالحروب الأوروبية فقط، ICRC Archives A PV, Minutes, Commission spéciale de la Société. . . 17 February 1863.

العلاقات الموجودة بين مجموعة من المواطنين ذوي الصفة الشخصية والدول، أو الممثلين الذين تمنحهم الشرعية (كما سيكون الوضع لاحقاً بالنسبة لأعضاء جمعيات الصليب الأحمر الوطنية). إن هذا المقصد كان كفيلاً بالقضاء على اللجنة الدولية حتى قبل أن تبدأ لأن سلطات الدول لم تكن على استعداد للإنصات إلى مبادرات شخصية ولا سيما تلك التي تأتي من مواطني دولة تقع على هامش رقعة الشطرنج الدولية. وبالإضافة إلى ذلك، وإعلان اللجنة الدولية صفتها الدولية، وضعت نفسها في مرمى سهام النقد لأن أعضاءها في ذلك الوقت كانوا ينتمون لمجرد مقاطعة سويسرية صغيرة وهي جنيف<sup>4</sup>.

ولكن للمفارقة نجحت اللجنة الدولية في أنشطتها على وجه التحديد بسبب تشكيلها المتميز. ولما كانت اللجنة الدولية تتمتع بمساحة واسعة نتيجة لهيكلها الذي يأخذ شكل الجمعية والذي لم يتحقق بموجب اللوائح السويسرية إلا مع إقرار القانون المدني في ديسمبر/ كانون الأول 1907<sup>5</sup>، فإن اللجنة الدولية استفادت أيضاً من انتماء المؤسسين الخمسة ليس إلى المدينة نفسها فحسب وإنما أيضاً إلى الطبقة نفسها والديانة نفسها<sup>6</sup>. وبسبب اشتراكهم في نظرة عامة للعالم، كونوا فريقاً متماسكاً توجهه قناعات متطابقة<sup>7</sup>. وفي الوقت ذاته، ساهمت هذه الشخصيات الخمس باللجنة الدولية أيضاً في نجاح خططها. وتمكنت اللجنة الدولية من مناقشة الجوانب المختلفة للحرب بناء على خبرات واقعية من خلال الجمع بين محام (غوستاف مونييه)، وخبير في الشؤون العامة لا يكل من العمل (هنري دونان) وجراحين (تيودور مونوار ولويس أبيا)<sup>8</sup> وشخصية عسكرية (غيوم - هنري دوفور) ممن سبق لهم المشاركة في حملات عسكرية<sup>9</sup>. واستفادت اللجنة الدولية، بجانب ذلك، عند إنشائها بشبكات العلاقات الشخصية لدى أعضائها، وتشمل هذه كلاً من العلاقات السابقة<sup>10</sup> بالإضافة إلى العلاقات التي تكونت سريعاً، خاصة أثناء الجولة التي قام بها "دونان" لحكومات عدة عواصم أوروبية. وكانت هذه هي العناصر التي عززت وضع اللجنة الدولية.

4 تعرضت الجنسية الأحادية للجنة الدولية للنقد بشكل منظم خلال القرن الأول من عمر اللجنة الدولية. انظر François Bugnion, 'La composition du Comité international de la Croix-Rouge', in *Revue internationale de la Croix-Rouge* [hereafter, RICR], No. 814, July-August 1995, pp. 473-493; in English see, 'The Composition of the International Committee of the Red Cross', in *International Review of the Red Cross* [hereafter, IRRC], No. 307, August 1995, pp. 427-446.

5 دخل القانون المدني السويسري حيز التنفيذ في 1 يناير/ كانون الثاني 1912.

6 Diego Fiscalini, *Des élites au service d'une cause humanitaire : le Comité international de la Croix-Rouge*, mémoire de licence, Faculté des Lettres, Département d'Histoire, Université de Genève, two volumes, April 1985.

7 بما في ذلك على المستوى السياسي. انظر Daniel Palmieri, 'Post Tenebras Lux. New Perspectives on the Foundation of the Red Cross', in Wolfgang U. Eckart and Philipp Osten (eds), *Schlachtschrecken, Konventionen. Das Rote Kreuz und die Erfindung der Menschlichkeit im Kriege*, Freiburg, 2011, pp. 17-26.

8 كان أبيا لديه خبرة في رعاية جرحى الحرب. انظر Roger Boppe, *L'homme et la guerre. Le Docteur Louis Appia et les débuts de la Croix-Rouge*, Muhlethaler, Geneva, 1959, pp. 30 ff.

9 في عام 1847 قاد الجنرال دوفور القوات الفيديرالية أثناء الحرب الأهلية الأخيرة في سويسرا التي عرفت باسم حرب سوندربونند.

10 كان دوفور على معرفة شخصية بالإمبراطور نابليون الثالث.

وأخيرًا، فإن الجنسية السويسرية لأعضاء اللجنة والحياد المرتبط بتلك الجنسية، وإن كانت مثار جدل، تمثل أصولاً قيمة في فترة شهدت إحياء القومية في أوروبا، ولا سيما عقب حرب عام 1870.<sup>11</sup>

هياً النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظروفًا مواتية لظهور أفكار العمل الخيري المرتبط بالحرب. وقد تسبب "التقدم" في تطوير الأسلحة، خاصة المدفعية و القوة النارية للخنازير،<sup>12</sup> في عدد أكبر من الإصابات الأكثر خطورة من أي وقت سبق. وتزامن ظهور هذه التقنية الجديدة للأسلحة مع عودة النزاع المميت بشكل خاص في أوروبا. وأدت حرب القرم (1853 - 1856) ثم الحرب الثانية من أجل استقلال إيطاليا (1859) إلى سقوط آلاف الجرحى. وقد أظهرت المجزرة التي خلفتها الحرب الأهلية في الولايات المتحدة (1861 - 1865) أن الحرب ليست مقتصرة على القارة القديمة، ولكنها توافق نقطة تحول في وسائل الحرب.

حرك هذا العنف، الذي لم يشهد العالم له مثيلاً منذ حقبة نابليون، الرأي العام بشكل غير مسبوق حيث بدت الطواقم الطبية العسكرية عاجزة عن معالجة الإصابات الناجمة عن الحرب. وبالتالي كان هناك مجال لتدخل أطراف أخرى لمساعدة المرضى والجرحى. أثناء حرب القرم، برهنت الممرضة "فلورنس نايتينغيل" من بريطانيا علاوة على الممرضة الروسية المعاصرة لها الدوقة العظيمة "إلينا بافلوفنا" وفي وقت لاحق "كلارا بارتون" في الولايات المتحدة، على مزايا التدخل الطبي من جانب أطراف أخرى وحشدن تعاطف الطبقة المتوسطة مع قضيتهن. وركزت الطبقات المتوسطة الأوروبية بسهولة على اللجنة الدولية وخطتها نتيجة لوعيها بالفعل بضرورة مساعدة الجنود الجرحى عن طريق الدور الرائد لهذه الرموز النسائية للعمل الخيري.

وقد انصهر هذا الاهتمام العام باهتمام القادة الأوروبيين<sup>13</sup>، والذين التقى العديد منهم بهنري دونان. ومهد الطريق لعقد المؤتمر الدولي الأول للخبراء في 1863 ثم المؤتمر الدبلوماسي في العام التالي. وأدى هذا كما نعرف إلى اتفاقية جنيف الأولى في 22 أغسطس/ آب 1864.

11 حتى وقت اندلاع هذه الحرب، كانت اللجنة الدولية تؤيد فتح عضويتها لأعضاء الجمعيات الوطنية، بل واتخذت الخطوات الأولى في هذا الاتجاه. انظر François Bugnion، في الحاشية 4 أعلاه، صفحات من 474 - 476. ولم تعتقد اللجنة الدولية أن هذا التغيير سيضع وجودها محل شك. في أعقاب الحرب الفرنسية البروسية، ومع الجهود المبذولة من جانب اللجنة لتكثيف القومية التي لم تترك جمعيات الصليب الأحمر بدون تأثير، غيرت اللجنة الدولية موقفها تغييراً جذرياً لتدافع منذ ذلك الوقت فصاعداً عن شخصيتها السويسرية على وجه التحديد.

12 Richard Holmes (ed.), *Atlas historique de la Guerre. Les armes et les batailles qui ont changé le cours de l'histoire*, France Loisirs, Paris, 1991, pp. 108-110; in English see, *The World Atlas of Warfare: Military Innovations that Changed the Course of History*, Mitchell Beazley, New York, 1988

13 ولكن يجب أن تلاحظ أن دوافع الحكومات للمشاركة في هذه الاجتماعات لم تقتصر على الأهداف "الإنسانية" بل كان للسياسة دور أيضاً.

Daniel Palmieri, 'De la persuasion à l'autopersuasion : le CICR et le droit humanitaire', in *Revue Suisse d'Histoire*, Vol. 61, No. 1, 2011, p. 58

وأدى إقرار هذا النص- الذي يعد أول نصوص القانون الدولي الإنساني الحديث- من جانب عشرات الدول إلى تعزيز هيبة اللجنة الدولية ومؤسسيها، ومنحها قوة معنوية وربما سياسية على الساحة الأوروبية. وفي الواقع ولأول مرة لم يكون أعضاء ما نطلق عليه اليوم اسم المجتمع المدني فكرة ذات نطاق عالمي فحسب، بل شاهدوا مراحل تطورها فوق ذلك، بما في ذلك من خلال مؤتمرات دبلوماسيين دوليين نظمها وقادهما المؤسسون بأنفسهم.<sup>14</sup> وكان الاعتراف الذي تم الحصول عليه نتيجة لهذا العمل بجانب السياق المواتي للمبادرات الخيرية في ميدان المعركة وتصادف ذلك مع وجودها في بلد محايد على المستوى العسكري، إنما هي عوامل جمة تساعد في توضيح أسباب احتياز اللجنة الدولية اختبارها الأول، والذي تمثل في ضمان استمرار نشاطها لفترة طويلة عقب انطفاء جذوة الحماس المبدئي، وبالرغم من خسارة شخصية دونان المهمة. وأدى تأسيس شبكة من الاتصالات ممثلة في جمعيات الصليب الأحمر (ولاحقاً الهلال الأحمر) الوطنية ودور اللجنة الدولية كحلقة وصل بين شتى المؤسسات إلى تعزيز وضع اللجنة الدولية على الأقل حتى عام 1914.

## 1914 - 1923: التحول

اجتازت اللجنة الدولية بهدوء السنوات الخمسين الأولى من وجودها دون المرور بتغيرات جذرية. وارتفع عدد الأعضاء ارتفاعاً طفيفاً من خمسة في عام 1863 إلى تسعة في عشية الحرب العالمية الأولى، وظل هيكلها، القائم على التطوع، كما هو دون تغيير.<sup>15</sup> ومن الحقيقي أيضاً أنها مرت بعدد من التجارب الصعبة التي مهدت لمستقبلها. هاجمت الحكومة الروسية تشكيل اللجنة الدولية في المؤتمرات الدولية للصليب الأحمر بواقع ثلاث مرات خلال فترة خمسة عشر عاماً<sup>16</sup>، حيث كانت تهدف إلى تدويلها. إلا أن المقترحات المقدمة من "سانت بطرسبرغ" لم يقرها المشاركون الآخرون في المؤتمرات الدولية. وثمة مبادرة روسية أخرى في عام 1874 هددت الاستقلال الذاتي لاتفاقية جنيف، حيث كانت ترمي إلى اختصارها في مادة واحدة في نطاق مجموعة أوسع بكثير من المعايير الخاصة بالقوانين والأعراف في زمن الحرب. وقد نجحت دعوة اللجنة الدولية لجمعيات الصليب الأحمر المختلفة، علاوة على الدعم الذي قدمه المجلس الفيدرالي السويسري للجنة الدولية في الدفاع عن سلامة اتفاقية جنيف لعام 1864<sup>17</sup> وبرهنت على أن اللجنة الدولية تهدف إلى حماية نفسها بقوة.

وباستثناء الحرب بين فرنسا وبروسيا (1870-1871) والتي عملت بها اللجنة الدولية من خلال اللجنة الدولية لإغاثة الجرحى التابعة لها في بازل، تألفت نشاطها الرئيسي خلال هذه الفترة التي قاربت الخمسين عاماً من نشاط "أدبي"، وتبادل للمراسلات مع جمعيات الصليب الأحمر، والاعتبارات النظرية الخاصة بالإغاثة في زمن الحرب، على النحو الذي

14 ستوجد هذه الظاهرة "التصادمية-التنازلية" لاحقاً في الحماية القضائية الدولية للممتلكات الثقافية. انظر أعمال Blaise Wilfert

15 يشمل هذا أيضاً الماليات الخاصة بها لأن اللجنة الدولية كانت في معظم الأحوال ممولة ذاتياً. انظر Jean-François Golay, Le financement de l'aide humanitaire : l'exemple du Comité international de la Croix-Rouge, Lang, Berne, 1990, p. 8.

16 في 1884 و 1887 و 1897.

17 ICRC ARCHIVES, A PV, Minutes of the Committee, 22 June 1874 and 9 September 1874.

تؤكد محاضر اجتماعات اللجنة الدولية منذ ذلك الوقت. وفي عام 1875 أثناء الأزمة الشرقية، أرسلت اللجنة الدولية بعثة<sup>18</sup> - هي الأولى بالنسبة لها- إلى مسرح نزاع مسلح للتعامل مع ضحايا الأضرار العرضية.<sup>19</sup> إلا أن هذه كانت خبرة قصيرة ولم تتكرر قبل اندلاع الأعمال العدائية في عام 1914.<sup>20</sup>

أدت الحرب العالمية الأولى وما أعقبها إلى تغيير وجه اللجنة الدولية وتحديثها بدرجة لم تكن لتعرفها على الإطلاق بشكل آخر. وقد كان التحول من الجمعية الخيرية الصغيرة لا مثيل له. فبعد أقل من شهرين على اندلاع الأعمال العدائية، تضاعفت العضوية باللجنة الدولية اثني عشر ضعفًا.<sup>21</sup> وفي نهاية عام 1914، كان هناك حوالي 1200 شخص يعملون لديها في الوكالة الدولية لأسرى الحرب، بل كان البعض موظفين بأجر بالرغم من أن الأغلبية كانت من المتطوعين. وقد أدى هذا إلى تأسيس هياكل وأساليب خاصة للعمل والإدارة للموظفين الذين يتقاضون مرتبات نظير عملهم وإن ظل المتطوعون يمثلون أغلبية. ومع ذلك، استمرت اللجنة الدولية في اعتبار نفسها، من الناحية القانونية، جمعية خاضعة للقانون المدني السويسري على النحو المنصوص عليه في أول نظام أساسي لها في نوفمبر/ تشرين الثاني 1915.<sup>22</sup> وبالإضافة إلى ذلك، كان النظام الأساسي يتعلق بأعضاء اللجنة فقط، أي قادة المؤسسة الذين وقعوا عليه بصفة شخصية. إلا أن اللجنة الدولية كانت تتألف بشكل رئيسي في ذلك الوقت من الوكالة الدولية لأسرى الحرب الخاضعة لقواعد أخرى كانت في البداية أفكارًا ضمنية غير مكتوبة أدمجت في ما بعد في اتفاقيات مكتوبة.<sup>23</sup> وقد كانت الوكالة الدولية لأسرى الحرب هي التي قررت وأصدرت تقارير.<sup>24</sup> وكانت الوكالة الدولية لأسرى الحرب ترسل بعثات بشكل دوري أثناء الحرب لزيارة معسكرات الأسرى،<sup>25</sup> والعناية بعملية إعادة الأسرى إلى بلدانهم في نهاية النزاع. وقد استلزمت هذه البعثات أن تؤسس اللجنة الدولية علاقات مع موظفين أجانب (بعضهم كانوا مندوبين غير سويسريين)<sup>26</sup> في عدة بلدان: وولدت

18 على عكس الإعلانات الموجودة في السجلات التاريخية للمنظمة، لم تكن البعثة التي أرسلت أثناء حرب شليسفيغ في عام 1864 تابعة للجنة الدولية بل كانت خاصة بفرع الصليب الأحمر في جنيف. انظر ARCHIVES, A PV, Minutes of the meeting of the Geneva section, 17 March 1864. ICRC

19 كانت هذه البعثة مختصة بمساعدة اللاجئين الذين فروا من الهرسك ووجدوا ملجأ في الجبل الأسود. انظر ICRC ARCHIVES, A AF, 21-12, Montenegro and Herzegovina, 1875-76.

20 أوفدت اللجنة الدولية في عام 1912 الدكتور دي مارفيل إلى مسرح العمليات في البلقان أثناء الحرب الأولى بالبلقان إلا أنها كانت في الأساس مهمة بغرض تقييم النظام الطبي للجماعات المتحاربة. انظر ICRC ARCHIVES, A AF, 25-8, Report by Marval

21 ICRC Archives A PV, AIPG, Minutes, 30 September 1914.

انقلت اللجنة الدولية خلال هذه الفترة من عشرة أعضاء إلى 120 عضوًا.

22 ICRC Archives B CR 92/1, 1-00, ICRC Statutes, 15 November 1915.

23 ICRC Archives C G 1 A 01.

24 باستثناء التساؤلات بشأن موظفي اللجنة (الاستقالات والتعيينات) الذين ظلوا تحت السلطة المنفردة للجنة وسُجلت هذه التساؤلات في محاضر خاصة.

25 أجرى حوالي 40 من مندوبي اللجنة الدولية 524 زيارة لمعسكرات أسرى الحرب، أغلبها في أوروبا وأيضًا في آسيا وشمال أفريقيا في الفترة بين يناير/ كانون الثاني 1915 حتى ديسمبر/ كانون الأول 1919.

26 بالرغم من أن تقليد الاستعانة بمندوبين غير سويسريين ينظر إليه في كثير من الأحيان باعتباره بدعة أُدخلت في

أولى البعثات! وقامت هذه البعثات بالفعل بتشغيل موظفين "محليين".<sup>27</sup> ويرجع الفضل إلى الوكالة الدولية لأسرى الحرب في اشتراط اللجنة الدولية كفاءة وخبرة ميدانية واكتسابها صورة إيجابية بين ضحايا الحرب، حيث كانت تساعدهم بشكل مباشر أينما كانوا بما في ذلك في قارات لم تكن للجنة الدولية فيها أي مشاركة مثل أفريقيا وآسيا.

ورغم أن اللجنة الدولية ظلت في جوهرها منظمة معنية بصياغة الأفكار، فقد كان هذا صحيحاً بشكل رئيسي بالنسبة "لرأسها" (اللجنة) في حين كان "جسدها" (الوكالة الدولية لأسرى الحرب) عندئذ منظمة معنية بالعمل الفعلي. وقد تطور هذا الانقسام- الذي تُرجم في ما بعد إلى "المقر الرئيسي" و"الميدان"- في النزاع عام 1914.

ومثلت الحرب الكبرى وما أعقبها من تأثير مباشر نقطة تحول في تاريخ اللجنة الدولية، على أنها لم تقتصر على منحها بعداً دولياً، من الناحية الجغرافية في هذه المرة، بل حولتها أيضاً تحويلاً جذرياً وأضافت أنشطة خاصة إلى ميدان عملياتها. وكانت علاقة اللجنة الدولية قبل عام 1914 لا تتعدى وضع الأفكار والتصورات في الحرب، وبعد هذا التاريخ تحولت أيضاً إلى أحد الأطراف الفاعلة في الحرب.

إلا أن التغييرات لم تتوقف عند ذلك الحد. فقد جلبت الحرب العالمية الأولى اضطرابات اجتماعية ضخمة، كان من بينها شغل النساء أماكن الرجال الذين ذهبوا إلى الجبهة. وقد حدث هذا أيضاً في اللجنة الدولية إذ كانت النساء يمثلن ثلثي عدد الموظفين المشتغلين لدى الوكالة الدولية لأسرى الحرب والبالغ عددهم زهاء 3000 شخص.<sup>28</sup> وكانت الموظفات يجري تعيينهن في إحدى الوظائف الجديدة المفتوحة للنساء وهي: الطباعة على الآلة الكاتبة، إلا أن عملية التأييد هذه امتدت إلى أعلى مستويات اللجنة الدولية. ففي نوفمبر/ تشرين الثاني 1918 انضمت "رينيه مارغريت كريمر" إلى اللجنة، وكانت أول امرأة تنضم إلى المنظمة. وكانت اللجنة الدولية على وعي كامل بالابتكار الذي حققه هذا التعيين "الأول في منظمة دولية".<sup>29</sup> ورغم تردد بعض أعضائها، فقد قررت أن هذه الخطوة الجديدة كانت نتيجة حتمية "للمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة التي أبرزتها الحرب وأكدت عليها".<sup>30</sup> ويبدو في هذه الحالة أن المناخ السائد أدى إلى تغييرات في الاتجاهات نحو النساء في اللجنة الدولية. كان هناك أيضاً بعض النساء في العمليات الميدانية للجنة الدولية. ورغم أن هذا كان يمثل مجرد

أوائل التسعينات، فإنه يعود في واقع الأمر إلى نشأة اللجنة الدولية (انظر:

"The ICRC delegate: an exceptional player? in IRRIC, No. 865, March 2007, pp. 102-105".

ومن الواضح أنه أثناء رئاسة ماكس هوبر ونتيجة للعلاقات الوثيقة غير المسبوقة بين الاتحاد السويسري واللجنة الدولية أن قررت اللجنة الدولية الاستعانة بموظفين أجانب سويسريين فقط، وهي سياسة كان لها ما يبررها بشكل كامل أثناء الحرب الباردة وانتهت بنهايتها.

27 بعثة موسكو على سبيل المثال التي استمرت خلال فترة ما بين الحربين العالميتين. وعندما قررت اللجنة الدولية إغلاق البعثة في عام 1938، كان من بين موظفيها خمسة عشر موظفاً محلياً.

28 *the Liste des personnes ayant travaillé à l'Agence internationale des prisonniers de guerre (août 1914 - décembre 1918)* (List of persons who worked for the International Prisoner-of-War Agency, August 1914-December 1918), in *L'Agence internationale des prisonniers de guerre, Genève, 1914-1918, ICRC, Geneva, 1919, pp. 113 ff.*

29 ICRC Archives A PV, AIPG, Minutes, 11 June 1918.

30 ICRC Archives A PV, Minutes, Committee, 29 June 1918.

نسبة صغيرة من مجموع مندوبي اللجنة الدولية<sup>31</sup>، فقد أنه كان سبقًا في حد ذاته.

ثمة تحدٍ رئيسي آخر كان يتعلق بالضحايا والنزاعات التي ستدخل في نطاق تركيز اللجنة الدولية. وقد شهدت فترة ما بعد الحرب مباشرة خروجًا عن تقاليد خمسين عامًا. فقد حددت اللجنة الدولية أهدافها بشكل واضح منذ إنشائها، داخل إطار "النزاعات الكبرى بين القوى الأوروبية الرئيسية" وفي وقت لاحق وبعد بضع سنوات أخرى من الخبرة فتحت الباب أمام أنواع أخرى من النزاعات وقارات أخرى للوفاء بتعهداتها العالمية.<sup>32</sup> ثمة قيد مماثل كان يرتبط بالمستفيدين من أنشطتها، والذين كانوا يقتصرون على الجرحى من أفراد القوات المسلحة في الجيوش في الميدان، على النحو المنصوص عليه في اتفاقية جنيف الأولى. ومن المؤكد أن اللجنة الدولية كانت تهتم من وقت لآخر بفئات أخرى من السكان المتضررين قبيل عام 1914 (اللاجئون المدنيون في الفترة بين عامي 1875-1876 وأسرى الحرب في الفترة بين عامي 1870-1871 والجنود أو البحارة المصابون أثناء العمليات القتالية البحرية) وإن كانت هذه الاتصالات عابرة أو حتى ذات طابع نظري كامل. فقد دفعت الحرب العالمية الأولى وفترة ما بعد الحرب الدولية إلى التعامل مع أساليب قتالية جديدة (استخدام قنابل الغاز)<sup>33</sup>، وسياقات جديدة للعنف (الحروب الأهلية، والثورات وعمليات التمرد)، وفئات جديدة من الضحايا (السجناء السياسيين، والمدنيون في الأراضي المحتلة، والرهائن، والأشخاص المفقودون، والأطفال، واللاجئون)<sup>34</sup>. ولتلبية احتياجاتهم الإنسانية، استحدثت المنظمة أنشطة جديدة في مجالات الطب والمساعدات الغذائية بشكل خاص، منفردة أو بالاشتراك مع منظمات دولية أخرى، بما في ذلك بعض المنظمات التي شاركت في تأسيسها مثل الاتحاد الدولي لإنقاذ الطفولة. وقد ولد من رحم هذا العمل التفكير في القانون الدولي الإنساني والإضافات الضرورية الواجب إدخالها لضمان حصول هؤلاء الضحايا "الجدد" على حماية قانونية، شأن أسرى الحرب والسكان المدنيين الذين وقعوا في قبضة العدو. ورغم أن جهود اللجنة الدولية لصالح الأسرى العسكريين أدت إلى توقيع اتفاقية عام 1929، فإن نشاطها الدبلوماسي بالنيابة عن المدنيين ظل، كما نعرف، حيزًا على ورق قبل

31 قائمة المندوبين الرئيسيين بالمنظمة حتى منتصف العشرينات لا تتضمن سوى أسماء امرأتين من بين إجمالي 108 أسماء، بما يشكل حوالي 2% من العدد الإجمالي. انظر

*L'expérience e du Comité international de al Croix-Rouge en matière de secours internationaux*, ICRC, Geneva, 1925, pp. 52 ff.

كان العدد القليل جدًا من النساء اللاتي يتواجدن في بعثات اللجنة الدولية في ما سبق يقتصر على أعمال السكرتارية (انظر على سبيل المثال قائمة الموظفين الأجانب في

*the Bulletin international des Sociétés de la Croix-Rouge*, tome LII, No. 221, 15 January 1921, pp. 47- 48).

32 ICRC Archives A PV, Minutes, Committee, 17 March 1863.

33 انظر

*L'Apple contre l'emploi des gaz vénéneux (Apeal Against the Use of Poison Gas)*, in *Bulletin international de la Croix-Rouge*, Vol. 49. No. 194, April 1918, pp. 185-192.

34 فئات لم تعيد اللجنة الدولية استكشافها سوى في السنوات الأخيرة عند إطلاق حملات خاصة ببعضها.

اندلاع الحرب العالمية الثانية. وكان من قبيل المفارقة أن اهتمامات اللجنة الدولية كانت تركز على المدنيين<sup>35</sup> حتى قبيل اهتمامها بأسرى الحرب.

وأخيراً، اختفت اللجنة الدولية تقريباً في الفترة التي أعقبت عام 1918. وجاء التهديد من "الإنجاز الأكبر" الذي حققته المنظمة. ففي فبراير/ شباط 1919 وتحت قيادة الصليب الأحمر الأمريكي القوي، تأسست رابطة جمعيات الصليب الأحمر. وكان هذا الاسم مضللاً لأن الرابطة كانت تضم فقط جمعيات الصليب الأحمر بالدول الخمس الكبرى المنتصرة في الحرب (الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا، واليابان، وإيطاليا) وكان يعارض انضمام جمعيات الصليب الأحمر من البلدان المهزومة. وبدعم من التحالف (الذي كانت بريطانيا والولايات المتحدة على رأسه) وعصبة الأمم، التي كانت ترغب في أن تكون الجهة الإنسانية المناظرة له، واستغلالاً لموجة السلمية العالمية التي أعقبت "الحرب لإنهاء كافة الحروب"، كانت الرابطة يهدف إلى الإسراع بوتيرة عمل الصليب الأحمر وتحديثه عن طريق معالجة الأنشطة الاجتماعية والرعاية الصحية الوقائية في وقت السلم. وفي ظل هذه الأهداف الجديدة، لم يعد للجنة الدولية دور نشط لأن الرابطة كانت تسعى إلى الاستحواذ على كثير من مهاراتها ومسؤولياتها. وبالتالي قدر للجنة الدولية أن تتحول إلى "قطعة فنية في المتحف"<sup>36</sup> وقد أفضى هذا إلى "حرب صليب أحمر حقيقية"<sup>37</sup>، وكأنها تؤلب داوود الذي يسكن جنيف ضد جالوت الذي يسكن بلاد الأنجلو ساكسون في صراع انتهى لصالح الأول. ورغم أن اللجنة الدولية استفادت في هذا "القتال" من الظروف الخارجية المواتية- بدءاً من حقيقة أن حرباً من هذا القبيل كانت لا تزال دائرة- على عكس التوقعات المتفائلة، فقد كان نجاحها يرجع بشكل أساسي إلى عوامل داخلية ولا سيما تشكيل اللجنة. وكان أعضاء اللجنة جميعهم ينتمون إلى الطبقة المحلية المتوسطة بالإضافة إلى كونهم من سكان جنيف البروتستانتيين. وبالإضافة إلى ذلك ومنذ عام 1870، ارتبطوا بصلات عائلية وثيقة عززت بشكل أكبر من خلال نظام الاختيار بالتفاضل. كان "غوستاف أدور"، الذي شغل منصب رئيس اللجنة الدولية منذ عام 1910، تربطه صلة قرابة بخمسة أعضاء آخرين باللجنة، سواء كانوا على قيد الحياة أو متوفين. وساعدت هذه العلاقات على إيجاد ترابط ونظام فريد بين أعضاء اللجنة في أوقات الأزمات. بيد أن الرابطة لم تكن بها هذه العلاقات الوثيقة، ويرجع السبب في هذا ببساطة إلى هيكله متعدد الجنسيات. وبجانب ذلك، منذ الحرب العالمية الأولى جندت اللجنة

35 تأسس القسم المدني بالوكالة الدولية لأسرى الحرب في سبتمبر/ أيلول 1914 (IRCR Archives, A PV, Minutes, AIPG, 16 September 1914)

وأجريت أولى الزيارات إلى معسكرات أسرى الحرب في يناير/ كانون الثاني 1915. ويدين القسم المدني بالفضل إلى الروح القتالية التي كان يتمتع بها مؤسسه الدكتور فريدريك فيربير الذي اضطر إلى "القتال" ضد معارضة أعضاء آخرين في اللجنة للبقاء على نشاط القسم أكثر مما يدين بالفضل إلى اللجنة الدولية. انظر Rachad Armanios, *Le Dr Frédéric Ferrière. Les années de formation d'un médecin et d'un philanthrope*, Mémoire de licence en histoire générale, Université de Genève, 2003, pp. 166 ff.

36 Paul Grossrieder, 'La mononationalité suisse du CICR : une étrangeté organisationnelle. . . .' [the Swiss mono-nationality of the ICRC: an organizational eccentricity], 14 February 2010, available at: <http://www.grotius.fr/une-étrangete-organisationnelle/> (last visited 11 July 2012).

37 Irène Herrmann, 'Décrypter la concurrence humanitaire : le conflit entre Croix-Rouge(s) après 1918', in *Relations internationales*, No. 151, Autumn 2012, pp. 91-102.

الدولية لمهامها بالخارج أشخاصًا تم اختيارهم على أساس العلاقات الشخصية أو توصيات من أعضاء اللجنة وإن لم ينتموا إلى الوسط الاجتماعي نفسه. وقد ساعدت معايير الاختيار النخبوي على إدماج اللجنة الدولية بشكل أوثق من ذي قبل على المستوى الداخلي وعززت روابطها مع المجتمع السويسري الذي أتى مندوبوها منه. وهذه النقطة مهمة لأن التنافس بين الرابطة واللجنة الدولية أدى إلى حدوث تقارب بين اللجنة الدولية والاتحاد السويسري اشتمل على دعم مالي<sup>38</sup>. وكان من النتائج الرئيسية لهذا التقارب ما حدث في عام 1923 من تعيين أول أعضاء باللجنة الدولية ممن لم يكونوا من جنيف.

## 1936 - 1946: الاندماج

أعقبت فترة من التراجع بنهاية العشرينيات فترة نمو أنشطة اللجنة الدولية في أوائل الحقبة نفسها. وقد أدى الوضع المالي الهزيل إلى انغلاق المنظمة مما حدّ من تطلعاتها الدولية. وكان رئيس اللجنة الدولية الجديد<sup>39</sup> ميالاً للتفكير النظري والقانوني أكثر من العمل، والعودة إلى الأنشطة الأكثر تقليدية التي تركز على النزاعات الدولية، والأهم من ذلك، أن عددًا أقل من الدول دخلت في حروب بدءًا من النصف الثاني من العشرينيات في مقابل النزاعات المسلحة الداخلية التي كانت اللجنة الدولية أكثر عزوفًا عن التدخل فيها مما كانت عليه سابقًا.

تغير الوضع في الثلاثينيات حيث استؤنفت النزاعات الدولية الكبرى. ففي عام 1932 وبعد احتلال شانغهاي على يد القوات الإمبراطورية اليابانية، استفادت اللجنة الدولية من مندوب أرسل إلى اليابان وطلبت منه التوقف في المقاطعة الصينية وإرسال تقارير حول الوضع هناك. أرسلت اللجنة الدولية في العام التالي ومجددًا في عام 1934 بعثات - كانت هي الأولى إلى قارة أمريكا الجنوبية- إلى حرب "گران تشاكو" التي درت بين بوليفيا وباراغواي. ونفذ المندوبون ما يمثل الآن الأنشطة التقليدية للجنة الدولية وهي زيارة المعسكرات والمراسلات وإعادة أسرى الحرب بغض النظر عن بلدانهم.<sup>40</sup> وفي عام 1935 وفي أول مشاركتها في أفريقيا جنوب الصحراء، استجابت اللجنة الدولية إلى النزاع الإيطالي- الإثيوبي. وكانت المنظمة بطبيعة الحال تتحسس طبيعة الحرب العالمية الموشكة دون أن تعرف بها: فقد كانت حربًا شاملة وشمولية.<sup>41</sup>

38 J.-F. Golay, above note 15, p. 49.

39 أصبح ماكس هوبر رئيسًا للجنة الدولية في عام 1928 عقب وفاة جوستاف أورد.

40 Cécile Aubert, *Les premiers pas du CICR en Amérique latine. La guerre du Chaco*, mémoire de licence, Département d'histoire générale de la Faculté des lettres, Université de Genève, 2001; Daniel Palmieri, 'Mission humanitaire ou voyage d'étude? Le CICR et la guerre du Chaco', in Nicolas Richard, Luc Capdevilla and Capucine Boidin (eds), *Les guerres du Paraguay aux XIXe et XXe siècles*, CoLibris, Paris, 2007, pp. 49-61.

41 تعمّدت الطائرات الإيطالية قصف منشآت الصليب الأحمر على مرأى ومسمع من اللجنة الدولية، الأمر الذي مثل دليلاً على استخدام القوات الإيطالية الغاز السام (إيبيريت). واستخدام الغاز السام محظور بموجب بروتوكول جنيف لعام 1925 والذي صادقت عليه إيطاليا في عام 1928.

Rainer Baudendistel, 'La force contre le droit: le Comité international de la Croix-Rouge et la guerre chimique dans le conflit italo-éthiopien, 1935-1936', in RICR, No. 829, March 1998, pp. 85-110; in English see, 'Force versus law: The International Committee of the Red Cross and chemical warfare in the Italo-Ethiopian war 1935-1936', in IRRIC, No. 322, March 1998.

وأعقبت التجربة الإثيوبية بالحرب الأهلية الإسبانية (-1936 1939)، والتي كانت أهوالها، في جانب كل من قوات الجنرال فرانكو والقوات الجمهورية، بمثابة وسيلة تذكير مستمرة، علاوة على كونها تحذيراً، للجنة الدولية بالمخاطر التي تحيق بالمدنيين في النزاعات المسلحة. وتزامنت الحرب الأهلية الإسبانية مع حدثين رئيسيين في تاريخ المنظمة. كان الحدث الأول هو أول مشاركة للجنة الدولية في دعم ضحايا حرب بين أشقاء بهذا الحجم. فقد كانت الأمثلة السابقة للثورة الروسية والحرب الأهلية محل مقارنة لأن دور اللجنة كان "دبلوماسياً". ورغم تقديم المساعدة للضحايا الروس، فقد تم هذا بسبب المجاعة الرهيبة في البلاد، وليس بسبب الاشتباكات المسلحة التي وقعت. ولم تكن الحروب الأهلية الأخرى القليلة التي تدخلت فيها اللجنة الدولية- مثل الجمهورية المجرية السوفيتية في عام 1919 وأيرلندا في عام 1923 - بحجم النزاع في شبه الجزيرة الأيبيرية. وكان الحدث الثاني وهو الأهم أنه بدءاً من عام 1936 وما بعده أخذ دور المندوب شكلاً احترافياً وأصبح العمل الإنساني "مهنة" حقيقية في اللجنة الدولية. وبالإضافة إلى ذلك، عاود بعض الأشخاص المشاركين في ذلك الوقت نشاطهم مجدداً في الفترة من 1939-1945.<sup>42</sup> وليست هذه المرحلة عديمة الأهمية لأن اللجنة الدولية وقت اندلاع الحرب العالمية الثانية كان لديها فريق صغير من المتطوعين الشباب نسبياً والخبراء على دراية بالمنظمة وعملياتها بالفعل.

كانت الفترة من 1939-1945 بالنسبة للجنة الدولية تكراراً للفترة من 1914-1918 وإن كانت بأبعاد ليس لها مثيل حتى الآن. ويبرهن على هذا بوضوح التقرير الموجز عن أنشطة المنظمة خلال سنوات الحرب والذي جاء في 1700 صفحة.<sup>43</sup>

زادت أعداد موظفي اللجنة الدولية زيادة كبيرة كما حدث في عام 1914. وبلغ عدد الموظفين العاملين لدى اللجنة الدولية في جنيف 360 موظفاً بنهاية ديسمبر/ كانون الأول 1939، أغلبهم يعملون لدى الوكالة المركزية لأسرى الحرب. وكان هناك 1300 موظف بعد مرور عام واحد وحوالي 2000 موظف في ديسمبر/ كانون الأول 1945. وميدانياً كان هناك 76 بعثة حول العالم، وارتفع عدد المندوبين ونواب المندوبين من ثلاثة في عام 1939 إلى 179 بعد ست سنوات.<sup>44</sup> ولا تشمل هذه الأرقام الموظفين "المرووسين" العاملين في سويسرا وفي الخارج.<sup>45</sup> وعلى عكس الموظفين أثناء الحرب العالمية الأولى، فإن أغلب الأشخاص الذين عملوا لدى اللجنة الدولية أثناء الحرب العالمية الثانية قاموا بهذا كموظفين يحصلون على أجر.<sup>46</sup> وحقق كثير منهم مساره المهني في المنظمة.

42 B. Troyon and D. Palmieri, above note 26, p. 99; Daniel Palmieri, 'Une neutralité sous influence? Le CICR, Franco et les victimes', in *Revue suisse d'Histoire*, Vol. 59, No. 3, 2009, pp. 279-297.

43 *Rapport du Comité international de la Croix-Rouge sur son activité pendant la Seconde Guerre mondiale (1<sup>er</sup> septembre 1939-30 juin 1947)*, three vols., Geneva, May 1948; in English, see, *Report of the International Committee of the Red Cross on its activities during the Second World War*, three vols. and an annex, ICRC, Geneva, 1948.

44 Ibid., Rapport, Vol. I, p. 58.

45 شهدت الفترة بين عامي 1940 و1947 في سويسرا (المراجع السابق،) عمل (Rapport, Vol. I p. 58) عمل الموظفين في 33 قسمًا مساعدًا بالوكالة المركزية لأسرى الحرب منتشرين في جميع أنحاء البلاد. وبخلاف المندوبين أنفسهم، فإن عدد الأشخاص- سويسريين كانوا أو أجانب- الذين عملوا في بعثات اللجنة الدولية غير معلوم.

46 Rapport, above note 43, Vol. I, p. 99.

وفاقت أنشطة اللجنة الدولية في كافة المجالات الحجم الذي اضطلعت به أثناء الحرب العالمية الأولى بما في ذلك زيارات المعسكرات (أكثر من 11000) والمساعدات الموزعة<sup>47</sup> وعدد السجلات الشخصية للوكالة المركزية لأسرى الحرب.<sup>48</sup> وكانت هذه الأنشطة أيضًا انعكاسًا للموارد المالية الضخمة للغاية التي أنفقتها اللجنة الدولية في سبيل تحقيق مهمتها الإنسانية. فقد أنفقت الأموال على سبيل المثال في شراء أول أسطول للسفن تابع للجنة الدولية ثم شاحنات في وقت لاحق، وكانت كل هذه المشتريات خطوات ساهمت في تحديث عمل اللجنة الدولية. ولم يتوقف التحديث عند هذا الحد، واستخدمت الوكالة المركزية لأسرى الحرب أول "أجهزة حاسب آلي" للمعالجة السريعة لملفات الأشخاص.<sup>49</sup>

وأدى حجم وتنوع العمل الذي واجهته اللجنة الدولية إلى تغييرات في عملياتها. فعلى عكس الأمر أثناء الحرب العالمية الأولى حيث كانت تُتخذ أغلب القرارات من جانب الوكالة الدولية لأسرى الحرب وعَرَصًا من جانب اللجنة، انتشرت المنديات أثناء الحرب العالمية الثانية حيث نُوقِشت فيها مجموعة متنوعة من القضايا. واضطرت اللجنة بالتأكيد خلال فترة ما بين الحربين إلى اللجوء إلى لجان موضوعية داخلية (لجنة أنشطة الحرب واللجان الإسبانية والإثيوبية وغيرها) والتي كانت كل منها مسؤولة عن مشكلة معينة وإن زاد عددها زيادة كبيرة مع اندلاع الحرب. وكان باللجنة الدولية سبع هيئات خاصة في عام 1939 تضم اللجنة والمكتب (خُصص الأخير لأعضاء اللجنة). وكانت هناك إحدى عشرة هيئة خاصة في عام 1940 وأربع عشرة في 1941 وخمس عشرة في عام 1942 وسبع عشرة في الفترة بين عامي 1942 و1945 وثمانية عشرة في عام 1946.<sup>50</sup> وكان من السمات الأخرى المميزة لفترة الحرب العالمية الثانية أن هذه الهيئات المختلفة لم تعد مقتصرة على أعضاء اللجنة بل ضمت أيضًا موظفين "مرؤوسين" مؤهلين شاركوا في عملية اتخاذ القرار على هذا النحو. وتشير الروايات المتواترة إلى أن اللجنة الدولية بدأت خدماتها أثناء الحرب والتي عرفت باسم "الخدمات العامة" والتي تشمل خدمة الأخبار والمعلومات والتي تحولت إلى شعبة مستقلة في عام 1943 ومهدت الطريق لاستحداث "اتصالات"<sup>51</sup> إنسانية كثيفة بشكل متزايد بفضل استخدام الوسائط المسموعة والمرئية.<sup>52</sup>

47 تقدر اللجنة الدولية قيمة المساعدات التي وزعتها بما يتجاوز 3000 مليون فرنك سويسري بالقيمة المتداولة.

48 وإجمالاً كان هناك أكثر من 35 مليون ملف، بما يعادل تقريبًا سبعة أضعاف الرقم في الفترة بين 1914 و1918. انظر Rapport, above note 43, Vol. II, p. 340.

49 كانت هذه ماكينات هولليريث التي تستخدم البطاقات المثقوبة ووفرتها شركة

International Business Machines Corporation (IBM). انظر Monique Katz, 'Quand des machines travaillaient pour la Croix-Rouge?', in RICR, No. 453, September 1956, pp. 507-511.

للاطلاع على معلومات بخصوص البطاقات المثقوبة، انظر <http://www-03.ibm.com/ibm/history/ibm100/fr/fr/icons/punchcard/> (last visited 12 July 2012).

50 تراجع عدد اللجان بشكل سريع بدءًا من عام 1947 لينخفض من تسع إلى ست لجان في بداية الخمسينات ثم إلى أربع لجان خلال باقي هذه الفترة، مما يشير إلى أن اللجنة ومجلسها الرئاسي كانا يسيطران على الشؤون الجارية.

51 غير أن اللجنة الدولية لم تنتظر حتى نشوب الحرب العالمية الثانية لتطلق حملات للتعريف بأنشطتها. ويوضح هذا نشر the Bulletin des Sociétés de la Croix-Rouge الذي بدأ في عام 1869.

52 إلا أن تاريخ أولى أفلام اللجنة الدولية يرجع إلى عام 1921. انظر Enrico Natale, 'Quand l'humanitaire commençait à faire son cinéma : les films du CICR des années 1920', in RICR, Vol. 86, No. 854, June 2004, pp. 415-437; for English abstract, see 'Humanitarian organizations enter the world of cinema: ICRC films in the 1920s', in the same issue.

تأثرت المنظمة تأثراً مباشراً بأهوال الحرب. وعرفت اللجنة الدولية أولى حالات احتجاز رهائن لها عندما اختطف أعضاء بعثة برلين من جانب القوات السوفيتية عقب الاستيلاء على برلين واحتجزوا لعدة شهور في معسكر في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. بل والأسوأ من ذلك أن الكثير من موظفيها قضوا في حوادث عنيفة غير مسبوقه مجدداً.<sup>53</sup> فقد غرق "ريتشارد هايدر"، أحد مندوبي اللجنة الدولية، أثناء غرق سفينة شحن كانت تنقل مساعدات إلى اليونان، وقتل "جوهان جوفانوفيتش"، مندوب طبي، على يد أحد الحراس، وأعدم "ماتيويس فيشر"، مندوب في بورنيو، هو وزوجته بعد محاكمة صورية على خلفية اتهامات بالتجسس<sup>54</sup>، وقتل "كونراد أوتو أندريج"، سكرتير البعثة في باتافيا، على يد مجموعة من السكان الأصليين في عام 1946.<sup>55</sup>

ارتبطت حالة الوفاة الأخيرة هذه بظهور شكل جديد للنزاع حشدت اللجنة الدولية جهودها له على مدار عقود وهو حروب التحرر من الاستعمار. وكانت اللجنة الدولية قد تجاهلت، وسط مشاغلها الإنسانية، الحروب الاستعمارية تماماً رغم أن إنشاء اللجنة الدولية تزامن مع تزايد الاستعمار الأوروبي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. ولم تتحرك بسبب محنة الشعوب الأصلية الخاضعة لنير البيض أو بسبب المذابح التي ارتكبتها الاستعمار.<sup>56</sup> وبالإضافة إلى ذلك، ولما كانت اللجنة الدولية آتية من العالم الغربي، فإنها دعمت بشكل غير مباشر "مهمة التحضر" التي قامت بها أوروبا في "قلب الظلام".<sup>57</sup> وبعد عام 1945 عندما تحول إنهاء الاستعمار إلى مسألة أهم من ذي قبل في العلاقات الدولية من ظاهرة الاستعمار نفسها<sup>58</sup>، ركزت اللجنة الدولية على كفاح الشعوب المحتلة ضد المستعمرين وعرضت خدماتها في هذا السياق، كما فعلت في جهودها المهمة وإن طواها النسيان لفترة

53 يقدم الجزء الأول من Rapport قائمة غير مكتملة بمندوبي اللجنة الدولية الذين لقوا حتفهم أثناء أداء عملهم، بما في ذلك من ماتوا لأسباب طبيعية أو عرضية. ويرجى ملاحظة أن كثيراً من حالات الوفاة الطبيعية بالنسبة للجنة الدولية كانت راجعة إلى "عبء العمل الضخم" الملقى على عاتق المندوبين. انظر Rapport, above note 43, Vol. I, pp. 64–65.

54 لمزيد من المعلومات حول قضية فيشر، انظر Ernst Braches, Bandjermasin Case. *The Swiss authorities and the Execution of Dr. C.M. Vischer and B. Vischer-Mylius in Borneo, 20 December 1943*, available at: <http://www.ulnmemorial.org/SwissAuthor.pdf> (last visited 13 July 2012)

55 RICR, No. 330, June 1946, p. 524.

56 Irène Herrmann and Daniel Palmieri, 'Humanitaire et massacres : L'exemple du CICR (1904–1994)', in Jacques Semelin, Claire Andrieu, and Sarah Gensburger (eds), *La résistance aux génocides. De la pluralité des actes de sauvetage*, Les Presses de Sciences Po, Paris, 2008, pp. 237–245.

57 شغل غوستاف مونييه منصب القنصل العام لدولة الكونغو الحرة بجانب أنشطته بصفته رئيساً للجنة الدولية. وقد تقاسم المبنى نفسه كل من المقر الرئيسي للجنة الدولية والقنصلية. للاطلاع على معلومات عن دولة الكونغو تحت حكم الملك ليوبيد، انظر

Adam Hochschild, *Les fantômes du Roi Léopold : La terreur coloniale dans l'État du Congo, 1884–1908*, Tallandier, Paris, 2007

58 رغم أن القوى الأوروبية واجهت بعضها البعض بشأن مسألة الاستعمار، فقد كانت المواجهة متعلقة بحدود مجالات النفوذ الاستعماري (كما اتضح من خلال حادثتي فاشودة وأغادير الشهيرتين) أكثر من تعلقها بالوسائل التي يستخدمها الاستعمار.

طويلة- في الهند الشرقية الهولندية (السابقة). ولم تخل مشاركتها من الصعوبات لأنها تسببت لاحقًا في حدوث توترات مع الحكومة الإندونيسية عندما كانت في قبضة نزاعاتها الخاصة من أجل "إنهاء الاستعمار".

شهدت حقبة الأربعينيات أيضًا نقطة تحول في الأفكار التي كونها الجمهور العام والأطراف الفاعلة في النزاعات المسلحة عن اللجنة الدولية. ولما لم يعد ينظر إلى المنظمة كمنظمة تطوعية فقط، فقد دخلت مرحلة من النقد. ورغم أن الاتهامات الموجهة للجنة لم تكن جديدة على الإطلاق، فقد أصبحت تتعدى الحالات الفردية النادرة- ففي عام 1919 على سبيل المثال اتهمت بولندا المندوب العام للجنة الدولية، "إدوارد فريك" بالعمل السياسي المناوئ لمصالح الدولية البولندية.... وبإثارة التعاطف مع القضية البلشفية<sup>59</sup>. وقد استمر بعض الأشخاص في اللجنة الدولية في تلقي النقد<sup>60</sup> وذلك بشهادة الجميع، بيد أن الشكاوى الأخطر كانت موجهة ضد المنظمة نفسها وأنشطتها ومبادئها. وأُتِهمت اللجنة الدولية بعد الحرب بعدم إدانة "انتهاكات الاتفاقيات" التي ارتكبتها الفاشيون الألمان والإيطاليون والإسبانيون.<sup>61</sup> وأُتِهمت أيضًا بتسهيل هروب مجرمي الحرب عن طريق إصدار وثائق سفر مزورة<sup>62</sup>. ووجه إليها النقد لتقاعسها عن التعامل مع مشكلات الموالين المأسورين وأسرى الحرب السوفييت في ألمانيا والمحرفة. وبشكل أعم، كانت أنشطة الإغاثة التي نفذتها لمساعدة من هُزموا في الحرب، خاصة الألمان، موضع تساؤل وأثارت لغطًا وعدم ثقة.

وكانت القوات المتحاربة في الوقت ذاته تتحدى القانون الإنساني، الأمر الذي كان يمثل تحديًا للجنة الدولية في واقع الأمر. وأخذ الجانب الأبرز في هذه السياسة شكل الرفض حيث كانت تتعلق بالجند المحاربين الذين وقعوا في قبضة العدو، ومنهم على سبيل المثال الألمان الذين أخذوا جنودًا إيطاليين كأسرى عقب هدنة 8 سبتمبر/ أيلول 1943 بالإضافة إلى الحلفاء الذين أسروا أفرادًا من الجيشين الألماني والياباني عقب الاستسلام غير المشروط من جانب هذين الجيشين، ورفضوا منحهم الوضع القانوني لأسرى الحرب.<sup>63</sup>

بجانب الاعتداءات على موظفي اللجنة الدولية، تبرهن هذه العناصر السابقة على أن العمل الإنساني ليس ناجحًا دائمًا وبالتالي فهو عرضة للخطأ. ومن الصعب بشهادة الجميع

59 ICRC Archives, A PV, Minutes, AIPG, 27 October 1919.

60 أتهم عدد كبير من مندوبي اللجنة الدولية بالتجسس لصالح ألمانيا أو تداول سلع منهوبة. انظر Division de presse du CICR, 'L'action du CICR pendant la Seconde Guerre mondiale', in RICR, No. 821, September–October 1996, pp. 606–611; this article was completed in April 1997 by François Bugnion in the light of further research done by the ICRC in its archives and in the federal Swiss archives, available at: <http://www.icrc.org/fre/resources/documents/misc/5fzqcb.htm> (last visited 12 July 2012).

61 بدأت هذه الاتهامات من جانب الصليب الأحمر اليوغوسلافي ولكن تلفقتها دول أخرى في الكتلة الشيوعية. انظر Catherine Rey-Schyr, *Histoire du Comité international de la Croix-Rouge (1945–1955)*, De Yalta à Dien Bien Phu (1945–1955), Georg, Geneva, 2007, p. 71.

62 Gerald Steinacher, *Nazis on the Run. How Hitler's Henchmen Fled Justice*, Oxford University Press, Oxford, 2011. For a critique of this thesis, see Irène Herrmann and Daniel Palmieri, "'Refugees on the Run': The ICRC travel documents after the Second World War", in *Contemporanea, rivista di storia dell'800 e del'900*, 1, 2013, in press.

63 Rapport, above note 43, Vol. I, pp. 558–566.

إثبات أن هذا التحليل الاستدلالي كان يخص المؤسسة في ذلك الوقت. هناك انطباع بأن الخطاب العام للجنة الدولية قد تجاهل هذا التوضيح. وتعد الصفحات الألف وسبعمائة التي حواها تقرير الأنشطة سالف الذكر دليلاً على أن اللجنة الدولية بذلت كل جهد ممكن أثناء السنوات الست للحرب العالمية الثانية. وهذا هو الحال أيضاً بالنسبة للتقرير الذي نشرته عن أنشطتها لصالح الضحايا المحتجزين في معسكرات التركيز النازية.<sup>64</sup> إلا أن ثراء التفاصيل والسرعة التي نشرت بها اللجنة الدولية وثقتها عن معسكرات التركيز الألمانية. ظهرت الطبعة الأولى في يناير/ كانون الثاني 1946 - ربما يثبت أن اللجنة الدولية كانت على وعي جيد بالفشل جزئياً، إلا أنها رغم ذلك حاولت الرد على الانتقادات في التقرير الخاص بعملها لصالح المحتجزين المدنيين في معسكرات التركيز الألمانية. وبعد نشر التقرير، كبتت هذه الأحداث في ذاكرتها الجماعية لأكثر من أربعين عاماً.<sup>65</sup>

ثمة نقطة أخيرة عن هذه الفترة وهي أنه بعد عام 1918 مباشرة كانت نهاية الحرب تعني تهديداً لسلامة اللجنة الدولية واستمرارها. وظهرت مجدداً في قلب الأحداث مسألة الجنسية الأحادية للجنة وعلاقتها برابطة جمعيات الصليب الأحمر. وأثيرت مسألة زيادة سلطة الرابطة على حساب اللجنة الدولية. بل واقتُرح إدماج الكيانين. وجاءت أشد الانتقادات مجدداً من داخل حركة الصليب الأحمر. وأثيرت مسألة تدويل اللجنة- وهو موضوع منكر منذ المؤتمر الدولي الأول للصليب الأحمر في عام 1867 - من جانب الصليب الأحمر السويدي، وهو "شريك" دخلت معه اللجنة الدولية في مواجهة صعبة أثناء الحرب.<sup>66</sup> واستمر الوضع القائم في النهاية. وعند استقطاب الصليب الأحمر إلى مواجهات أيديولوجية بين الشرق والغرب، رأى أنه من الضروري الحفاظ على دور اللجنة الدولية بالإضافة إلى شخصيتها السويسرية الخاصة وبالتالي المحايدة. وبالتالي جاء اندلاع الحرب الباردة لإنقاذ المؤسسة.<sup>67</sup>

64 *L'activité du CICR en faveur des civils détenus dans les camps de concentration en Allemagne (1939-1945)*, Geneva, 1946; in English see *Documents relating to the work of the International Committee of the Red Cross for the benefit of civilian detainees in German concentration camps between 1939 and 1945*, ICRC, Geneva, 1975, 125 pp.

65 كانت دراسة Jean-Calude Favez بعنوان *(Une mission impossible? Le CICR, les déportations et les camps de concentration Nazis*, Nadir Payot, Lausanne, 1988; in English see, *The Red Cross and the Holocaust*, Cambridge University Press, Cambridge, 1999)

أول دراسة علمية لهذا الموضوع. وبخصوص الورقة البيضاء، تحدث Febrice Cahen عن "intention of internal orientation with the objective of welding the entire staff around an official defensive line", in Fabrice Cahen, *Le Comité international de la Croix-Rouge et la Shoah. Une controverse entre histoire et mémoire*, mémoire de maîtrise d'histoire, Université Versailles, Saint-Quentin, 1999, p. 45.

66 Irène Herrmann and Daniel Palmieri, 'Two crosses for the same aim? Switzerland and Sweden charitable activities during World War II', in Johannes Paulmann (ed.), *The Dilemmas of International Humanitarian Aid in the Twentieth Century*, in press.

67 هذا هو رأي Catherine Rey-Schyrer في تحليلها للموقف المعادي للبلدان الشيوعية تجاه اللجنة الدولية للصليب الأحمر. C. Rey-Schyrer, above note 61, p. 52.

## 1967 - 1974: إعادة الهيكلة

كانت اللجنة الدولية منظمة ضعيفة بنهاية الحرب العالمية الثانية. فقد كانت على وشك الإفلاس من الناحية المالية في عام 1946 وكانت مهددة "بالتصفية"<sup>68</sup>، وهو موقف صعب استمر عددًا من السنوات. ومع استسلام القوات الإيطالية والألمانية ومن بعدها اليابانية، لم تعد اللجنة الدولية قادرة على استعادة المبالغ المالية التي منحتها لهذه الحكومات لمساعدة رعاياها والأموال التي جُمِدت بمعرفة الحلفاء ولم يُفرج عنها تدريجيًا إلا في بداية حقبة الخمسينيات. ولم تعد هذه الدول المهزومة قادرة على مساعدة اللجنة الدولية من الناحية المالية رغم أن مواطنيها كانوا المستفيدين الأساسيين من نشاط اللجنة الدولية في الفترة التي أعقبت الحرب، واضطرت المنظمة إلى تمويل هذا النشاط من مواردها الخاصة. وانخرطت اللجنة الدولية في الوقت ذاته في سلسلة من النزاعات المحلية أو الدولية الجديدة (اليونان وكوريا، والهند وباكستان، والهند الصينية، وإندونيسيا) التي استهلكت أيضًا جزءًا كبيرًا من ميزانيتها المعتادة.<sup>69</sup> وكانت استجابات الجهات المانحة لنداءات اللجنة الدولية محدودة.<sup>70</sup> ومع ذلك، كان على المنظمة نفسها أن تعطي مصروفاتها وبالتالي تجاوزت المصروفات الإيرادات بشكل منتظم. ولم يتغير حال المنظمة حتى أوائل حقبة السبعينيات.

أثرت المشكلات المالية على الموظفين. فعلى مشارف نهاية الحرب العالمية الثانية (في مارس/ آذار 1945)، كان باللجنة الدولية 3700 موظف، نصفهم موظفون يعملون مقابل أجر.<sup>71</sup> ولكن بدءًا من هذا التاريخ وبالتوازي مع تقليص أنشطة الوكالة المركزية لأسرى الحرب بالإضافة إلى الصعوبات المالية المستمرة، انخفض عدد الموظفين. وكان هناك 722 شخصًا فقط- يمثلون الموظفين العاملين بالمقر الرئيسي والميدان مجتمعين- يعملون لدى اللجنة الدولية في يونيو/ حزيران<sup>72</sup> 1947، وانخفض إلى 420 في يناير/ كانون الثاني 1949. وانخفض عدد الموظفين مرة أخرى خلال حقبة الخمسينيات. وتشير التقديرات إلى أن خمسة من بين كل ستة موظفين تركوا المنظمة.<sup>73</sup>

أضيفت إلى الأزمة المادية أزمة معنوية إذ واجهت المنظمة "فراغًا" في إدارتها. ففي ديسمبر/ كانون الأول<sup>74</sup> 1944، تنازل الرئيس "ماكس هوبر" عن منصبه، بعد تقدمه في السن وشعوره بالإرهاق والمرض، إلى "ذراع اليميني"، السيد/ "كارل ياكوب بوركارت". وبمجرد ترشيح "بوركارت" للمنصب وتوليئه إياه في 1 يناير/ كانون الثاني 1945، اختاره المجلس الفيدرالي للعمل كوزير (سفير) سويسري لدى باريس.<sup>75</sup> وتولى "هوبر" قيادة اللجنة الدولية من جديد في فبراير/ شباط 1945 كقائم بأعمال الرئيس وكان يأمل أن يشغل هذا

68 المرجع السابق نفسه. p. 38

69 Jacques Freymond (ed.), *Le Comité international de la Croix-Rouge*, Georg, Geneva, 1984, p. 66; table p. 71.

70 المرجع السابق نفسه. p. 85 باستثناء الأزمات الكبيرة جدًا مثل فلسطين (1948) أو المجر (1956).

71 المرجع السابق نفسه. p. 134

72 Rapport, above note 43, Vol. I, p. 58; J. Freymond, *Le Comité international de la Croix-Rouge*, above note 69, p. 139.

73 J. Freymond, *Le Comité international de la Croix-Rouge*, ibid., p. 134.

74 ICRC Archives, A PV, Minutes, Committee, 4 December 1944.

75 ICRC Archives, A PV, Minutes, Committee, 24 February 1945.

المنصب بشكل مؤقت. إلا أن رئاسته المؤقتة امتدت حتى يناير/ كانون الثاني 1947 حيث تولى المنصب نائباً للرئيس المشترك، "مارتين بودمر" و "إيرنست غلور" و "بول روجير" في عام 1948.<sup>76</sup> وظل "بوركارث" رئيساً للجنة الدولية وإن كان في إجازة.<sup>77</sup> كان الوضع على رأس المنظمة غير واضح ومتقلّباً واستمر على هذه الحال لأكثر من ثلاث سنوات إلى حين تعيين "بول رويغر" في عام 1948. أنشأت اللجنة الدولية بطبيعة الحال، بجانب اللجنة نفسها والمكتب<sup>78</sup> التابع لها، مجلس إدارة يتولى الإدارة والشؤون اليومية. بيد أن مجلس الإدارة كان معتمداً اعتماداً مباشراً على المكتب ولم يكن يتمتع باستقلال حقيقي.<sup>79</sup> وبالتالي لم يكن في وضع يسمح له باتخاذ قراراته الخاصة. ولم تكن اللجنة الدولية في وضع يسمح لها باتخاذ قرارات بسبب ضعف الإدارة العليا وكان غياب الشخصيات القوية على رأس المنظمة عاملاً أضعفها في السياق الذي تهددها في السنوات التي تلت الحرب مباشرة.

قبل مناقشة "الثورة" التي أثرت على اللجنة الدولية- شأنها شأن غيرها- بعد عشرين عاماً، انقضى عقدان شهدت اللجنة الدولية خلالهما لحظات مهمة مثل توقيع اتفاقيات جنيف الأربع في أغسطس/ آب 1949، والتي توجت عملية طويلة من التفكير والمفاوضات. ولم تكن المنظمة خاملة على المستوى الميداني: فمن ألمانيا إلى فلسطين مروراً بكوريا والمجر والجزائر والكونغو واليمن على سبيل المثال لا الحصر لمناطق النزاع، كانت اللجنة الدولية حاضرة عادة بدرجة كبيرة في كافة الأزمات الكبرى وفي كافة القارات. وكان التوسع الإقليمي لأنشطة اللجنة الدولية والذي بدأ إبان الحرب العالمية الأولى متأصلاً في ذلك الوقت في الميدان حيث افتتحت بعثات عامة في أفريقيا (سالسيري وداكار) والشرق الأوسط (بيروت) وآسيا (فوم بين). وشهدت بداية حقبة السبعينيات تكثيفاً لعلامة اللجنة الدولية من جديد مع افتتاح البعثات الإقليمية<sup>80</sup> والتي انتشر منها المندوبون إلى البلدان المجاورة سواء في أوقات السلم أو الحرب، إلا أن المنظمة لم تغير أسلوب عملها المعتاد في واقع الأمر. فقد استعادت في أغلب الأحوال بعض مجالات العمل التي كانت قد تخلت عنها مثل العمل الطبي على سبيل المثال.

حدثت نقطة التحول الفعلية مع المشاركة المتزامنة للجنة الدولية في نزاعين مسلحين رئيسيين في عام 1967 وهما حرب الأيام الستة وحرب بيفرا. وأدى هذان الحدثان، كل بطريقته الخاصة، إلى تغييرات واسعة على مستوى العمليات الداخلية للجنة الدولية بالإضافة إلى الفكرة السائدة عنها في العالم.

أثار النزاع العربي- الإسرائيلي الثالث (5-10 يونيو/ حزيران 1967) تحولاً جذرياً

76 ICRC Archives, A PV, Minutes, closed session of the Committee, 29 January 1947.

77 أنتخب بول روجير، أول رئيس كاثوليكي للجنة الدولية، في فبراير/ شباط 1948 في ما بدا أنه نتيجة لإجراء خاص. وتولى المنصب في يوليو/ تموز 1948.

78 تأسس هذا المكتب في مارس/ آذار 1943 وتولى المهام التي كانت مسندة في السابق إلى اللجنة المركزية التي تحولت إلى لجنة التنسيق في نوفمبر/ تشرين الثاني 1940. وكان المكتب هو المدير العام لكافة أنشطة اللجنة الدولية وكان مسؤولاً عن كافة اللجان المختلفة التابعة لها. ويجب ألا يتم الخلط بين هذا المكتب والمكتب سالف الذكر.

79 أوضح هذه الحقيقة كون مجلس الإدارة لم يحرر محاضره الخاصة كما فعلت الأجهزة الأخرى المستقلة باللجنة الدولية (مثل المكتب واللجنة وغيرها).

80 افتتحت أولى البعثات الإقليمية في إثيوبيا والكاميرون وفنزويلا.

في سلوك المنظمة، إذ كانت في ذلك الوقت تستشرف مبادراتها المحتملة. وكما أكد التقرير السنوي لعام 1967: "إذ تدرك اللجنة الدولية التوتر المتنامي الذي ساد منطقة الشرق الأوسط إبان النصف الأول من عام 1967، فقد اتخذت خطوات تحضيرية قبل اندلاع النزاع بعشرة أيام".<sup>81</sup> وقد أشار هذا إلى وجود تحول في موقف اللجنة الدولية من النزاعات المسلحة: من رد الفعل بشكل عام إلى التحول إلى الأخذ بزمام المبادرة، والتحضير لإجراءات عملية قبل اندلاع الأزمة.<sup>82</sup> وكان لهذه السياسة الجديدة نتائجها بالنسبة لتعيين المندوبين، إذ فُذت جنبًا إلى جنب مع التوسع الجغرافي للعمليات الميدانية للجنة الدولية وبالتالي حضورها في عدة نزاعات بشكل متزامن. ولم تتح الأموال الخاصة باللجنة الدولية في الفترة 1950 حتى 1960 توظيف عدد كبير من المندوبين، وفي نهاية حقبة الخمسينيات كانت اللجنة الدولية تفتقر إلى الكوادر الكافية للوفاء بالتزاماتها. أنشئت مجموعة البعثات الدولية في عام 1963 بتشجيع من رئيس اللجنة الدولية حيث كان الهدف منها تزويد المنظمة بمجموعة من المندوبين ممن يتميز عملهم بالجودة<sup>83</sup> وخضعوا لتدريب نظري شامل<sup>84</sup> حتى يكونوا متاحين للعمل بمجرد الاتصال بهم وعلى استعداد للتحرك فور إخطارهم.<sup>85</sup> ورغم ذلك لم تستخدم اللجنة الدولية مجموعة البعثات الدولية<sup>86</sup> إلا استخدامًا بسيطًا وذلك لأسباب شتى. وبالتالي دفع نزاع عام 1967 المنظمة إلى إعادة (التفكير) في سياسة تعيين الموظفين وتدريبهم، وهي عملية استغرقت عشر سنوات قبل وضع السياسة التي لا تزال سارية حتى اليوم في مجملها.

وكانت فكرة الاستعانة بموارد بشرية "خارجية" أكثر ضرورة من ذي قبل، إذ إن اللجنة الدولية مع بداية حرب الأيام الستة شددت جهودها بشكل دائم إلى النزاعات المسلحة. ولم تكن هذه المشاركة مقتصرة على الشرق الأوسط، إذ إنها طالت قارات أخرى بمرور الوقت (أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا). وأدت هذه المشاركة طويلة الأجل من جانب اللجنة الدولية في مناطق التوتر هذه، بحكم الواقع، إلى إلزامها بأن يكون لديها ممثلون حاضرون في كافة الأوقات. وبالتالي استمرت نسبة الموظفين الأجانب باللجنة الدولية في الازدياد. ورغم أن المندوبين الميدانيين كانوا يمثلون 27% من موظفي اللجنة الدولية في ديسمبر/ كانون الأول 1971، ارتفعت هذه النسبة إلى 66% بعد عشر سنوات.<sup>87</sup>

81 التقرير السنوي، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، 1967، ص 5، إضافة تأكيد. (كافة الإشارات إلى صفحات التقرير السنوي تكون إلى الإصدارات باللغة الفرنسية).

82 في سبتمبر/ أيلول 1938 وإبان أزمة ميونخ وقيبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، أنشأت اللجنة الدولية لجنة خاصة بأعمال الحرب تتولى مسؤولية التحضير لأنشطة اللجنة الدولية في حالة وقوع "كارثة أوربية" (ICRC Archives, A PV, Minutes, Committee, emergency session 15 September 1938) وواصلت تلك اللجنة أعمالها حتى سبتمبر/ أيلول 1939. بيد أن الابتكار في التحضير لأعمال اللجنة الدولية في حرب الأيام الستة تمثل في نشر الموظفين في الميدان حيث تقع المواجهات. ووصل المندوبون بالفعل إلى عواصم الأطراف المتحاربة في المستقبل بنهاية مايو/ أيار 1967.

83 كان أعضاء مجموعة البعثات الدولية يعينون في سويسرا من الجامعات والجيش والإدارة وغيرها. وكانوا من ذوي المهارات العالية خاصة في ميدان الطب بالإضافة إلى الاتصالات وكانوا متاحين لبعثات تستمر على مدار شهرين متتابعين.

84 ICRC Archives, A PV, closed session of the Committee, 2 July 1964.

85 للتعرف على مجموعة البعثات الدولية، انظر

J. Freymond, above note 69, p. 137; table p. 140.

86 المرجع السابق نفسه. p. 137.

87 الحسابات مأخوذة من J. Freymond, above note 69, p. 137; table p. 140.

تغيرت أنشطة اللجنة الدولية بسبب الحروب المستمرة على مستوى العالم. فقد أضيفت تدريجياً إلى أنشطة الإغاثة (سواء كانت في صورة مساعدات أو رعاية طبية) أنشطة تستهدف تحسين الظروف المعيشية للأشخاص الذين يعيشون في نزاع على سبيل المثال من خلال ضمان توفير المياه والصرف الصحي أو أنشطة تستهدف منح السكان "شعوراً بالحياة الطبيعية" من خلال توزيع البذور لزراعة الأرض أو من خلال أنشطة تقويم العظام.

وكان للعدد المتزايد من المندوبين في ميادين الحروب بالإضافة إلى العدد المتنامي للمهام تأثيرات مترتبة على تمويل المساعدات الإنسانية، الأمر الذي أبرزته حرب بيفرا في نيجيريا (يوليو/ تموز 1967 - يناير/ كانون الثاني 1970). ورغم أن هذا النزاع استمر لفترة محدودة، فقد اتسعت جهود اللجنة وحشد مواردها إلى معدلات غير مسبوقه وكان عملها هو الأهم في الفترة التي أعقبت الحرب. وكان معظم الميزانية الإجمالية الخاصة باللجنة الدولية في الفترة بين 1968 و1969 مخصصاً لهذه الحرب المدنية الدموية.<sup>88</sup> وقد ارتفع حجم المساعدات الموزعة ارتفاعاً غير مسبوق ولم ينخفض مرة أخرى إلى مستواه قبل عام 1967. وبلغت التكلفة الإجمالية لجهود الإغاثة التي نسقتها اللجنة الدولية في نيجيريا وبيفرا 663 مليون فرنك سويسري. وقد حرصت اللجنة الدولية على توضيح أن هذا الرقم "كان معلومة إحصائية ولا يمثل تقديراً دقيقاً للمصروفات!"<sup>89</sup>

وقد أدى كل هذا باللجنة الدولية إلى إعادة تحديد الطريقة التي تمول بها نفسها. ولما كانت المنظمة تعرف أنها قد تشارك في إجراءات تتجاوز حدود وسائلها وإمكاناتها، فقد رأت أنه من الضروري استشراف الأحداث قدر المستطاع: "في ضوء حالة مثل حرب بيفرا في نيجيريا، لم يعد من الممكن النظر إلى جهود الإغاثة التي تمتد على مدار سنوات..... باعتبارها مساعدات طارئة وبالتالي تُمول من خارج الميزانية العادية".<sup>90</sup> أدمجت اللجنة الدولية من ثم هذه المصروفات في ميزانيتها العادية، تحت مسمى أنشطة مؤقتة (الأنشطة الأخرى دائمة أو استثنائية). ولم يبق سوى بندين فقط بعد فترة قصيرة: الأنشطة العادية، وتشمل كلاً من الأنشطة الدائمة والمؤقتة سواء في المقر الرئيسي أو الميدان، والأنشطة الاستثنائية التي تأخذ اليوم شكل "النداءات". واستهدفت هذه الإصلاحات المحاسبية تحقيق المزيد من الشفافية أمام الجهات المانحة. ونظراً للمبالغ الضخمة التي غالباً ما تكون على المحك، "فإن الثقة وحدها ليست كافية، بل علينا أن نبرهن على أننا قادرون على إدارة الأموال التي عهد بها إلينا بشكل صحيح".<sup>91</sup> وأضحى جمع الأموال ضرورياً لمباشرة العمل الإنساني بدءاً من النشاط أثناء حرب بيفرا في نيجيريا. وجاء إنشاء قطاع "جمع الأموال في عام 1974"<sup>92</sup> اعترافاً بهذا أيضاً. وسعت اللجنة الدولية بجانب هذا إلى الحصول على رعاية مالية وسياسية وحصلت عليها بالفعل من خلال اتفاقات مع السوق الأوروبية المشتركة والحكومة السويسرية واللتين قدمتاً دعماً منتظماً إلى المنظمة.<sup>93</sup> وبدلاً من "تطبيق السياسات الخاصة بوسائلها كما كانت

88 المرجع السابق نفسه. p. 61, note 2.

89 Annual Report, ICRC, Geneva, 1970, p. 133.

90 J. Freymond, above note 69, p. 63.

91 المرجع السابق نفسه. p. 68.

92 Annual Report, ICRC, Geneva, 1974, p. 96.

93 J. Freymond, above note 69, p. 86.

تفعل بشكل روتيني منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت اللجنة الدولية في ذلك الوقت في سبيلها لمنح نفسها "الوسائل الخاصة بسياساتها".<sup>94</sup>

غير أن "الآلام المتزايدة" للجنة الدولية (على حد قول "تيري هينتش") أثناء حرب الأيام الستة وحرب بيفرا كان لها تداعيات داخلية أخرى على المنظمة، إذ سلط هذان النزاعان ضوءًا قويًا على جوانب القصور التي تعترى عملياتها خاصة في ما يتعلق بمباشرة الأنشطة الميدانية. وأفضى الافتقار إلى مدير فعلي للمشاريع في جنيف لإدارة الأزمة النيجيرية إلى صعوبات في التنفيذ بسبب الافتقار إلى "آلية إدارية حاسمة".<sup>95</sup> وأدت التأمّلات الداخلية النابعة من هذه الخبرة بالإضافة إلى توسيع نطاق أنشطة اللجنة الدولية في جميع أنحاء العالم إلى تغييرات هيكلية، ولا سيما إنشاء المناطق الجغرافية الميدانية في عام 1970، أخذ بزمام قيادتها من المقر الرئيسي مجلس إدارة اللجنة الدولية. وأدمج مجلس الإدارة أيضًا خدمات الدعم المشاركة في أنشطة خارج المنظمة (خدمات الطوارئ، والخدمات الطبية، والوكالة المركزية للبحث عن المفقودين وغيرها). وحدثت تغييرات هيكلية إضافية وأدت إما إلى إنشاء خدمات جديدة<sup>96</sup> أو زيادة مستوى استقلال أنشطة موجودة سلفًا (الشؤون المالية وشؤون الموظفين على سبيل المثال). وبمعنى آخر تأسست إدارة جديدة بالاسم ونظمت تمايزًا دقيقًا بشكل متزايد للمهام الداخلية على ضوء الأنشطة المتزايدة للجنة الدولية. وكانت إدارة اللجنة الدولية تتم بمعرفة جهاز إداري يعمل كسلطة تنفيذية وواصلت اللجنة الدولية ممارسة سلطة "قانونية"<sup>97</sup> وذلك بدءًا من عام 1974 وما بعده. وكانت التغييرات الأساسية التي طرأت على اللجنة الدولية نتاجًا مباشرًا للتغييرات التي حدثت بين عامي 1967 و1974. وكان يُنظر إلى اللجنة الدولية في ذلك الوقت على أنها منظمة إنسانية عظيمة وكان عليها أن تدير أنشطتها على هذا النحو.<sup>98</sup>

## 1991 - 2011: التوسع

كان من نتائج الأساليب التي تطورت أثناء حرب بيفرا أن شهدت الفترة بين عامي 1970 و1980 "عملاقة النشاط الإنساني" في عمليات اللجنة الدولية.<sup>99</sup> وليس هذا الأمر بمستغرب حين نضع في الاعتبار أن هذين العقدين تميزا بنزاعات كانت مدتها في أغلب الأحوال متناسبة عكسيًا مع التبعات الإنسانية الناجمة. وبالتالي ورغم أن الحرب بين الهند وباكستان في

94 المرجع السابق نفسه. p. 161.

95 Thierry Hentsch, *Face au blocus. La Croix-Rouge internationale dans le Nigeria en guerre (1967-1970)*, Institut universitaire de hautes études internationales, Geneva, 1973, p. 245.

96 أنشئت شعبة للصحافة والمعلومات ملحقة بالرئاسة بشكل مباشر. وإن أهمية "الاتصالات" والاستخدامات التي تحققت من خلالها إبان نزاع بيفرا بالإضافة إلى الدور الذي نهض به الإعلام وموقفه تجاه اللجنة الدولية يفسر بالتأكيد إنشاء هذه الشعبة الجديدة.

97 J. Freymond, above note 69, p. 128.

98 *Annual Report*, ICRC, Geneva, 1970, pp. 132-134.

99 تعبير استخدمه Simone Delorenzi في *Face aux impasses de l'action humanitaire internationale. La politique du CICR depuis la fin de la guerre froide*, ICRC, Geneva, 1997.

ديسمبر/ كانون الأول 1971 لم تستمر سوى ثلاثة عشر يوماً فقط، فقد استمرت عملية إعادة الأسرى إلى وطنهم عامين ونصف العام حيث حشدت اللجنة الدولية جهودها لهذا النشاط. ثمة نزاعات أخرى امتدت لفترات أطول من هذه المدة ومنها على سبيل المثال الحروب الأهلية الناتجة عن الكفاح البرتغالي للقضاء على الاستعمار والحرب بين العراق وإيران وغيرها وتضمنت الاستعانة بالقوة البشرية والمالية للجنة الدولية على أساس طويل الأجل. غير أن إدارة هذه العمليات لم تكن بلا تبعات وكانت المشكلات "الواقعية" التي نجمت عن أنشطة هذه السنوات بشكل خاص تتمثل في "كيفية التعامل مع هذا النمو وتبعاته وهذه البيروقراطية المتكاثرة والعدد المتزايد من المجالات التي قررت اللجنة الدولية... التدخل فيها".<sup>100</sup>

أثيرت تساؤلات أيضاً عن القانون الدولي الإنساني وأهميته للنزاعات في حقبة السبعينيات. ففي الوقت الذي حققت فيه اللجنة الدولية انطلاقة في هذا المجال بفضل اعتماد اتفاقيات جنيف الأربع، ورثت هذه الاتفاقيات التي تحكم الحرب بين الدول بشكل مباشر من القرن التاسع عشر وبدت غير مواكبة للعصر في مواجهة الحروب الأهلية كالتي اندلعت في أنغولا، وموزمبيق، والسلفادور، ونيكاراجوا حيث نفذت اللجنة الدولية عمليات واسعة النطاق. وماذا عن حروب التحرير الوطنية في أفريقيا (روديسيا، وناميبيا، وإريتريا وغيرها) وآسيا (تيمور الشرقية) والتي تميزت بشكل خاص من أشكال حرب العصابات؟ ومع ذلك على الرغم من أن اللجنة الدولية كانت مقتنعة أن "المبادئ الأساسية للقانون الإنساني يمكن بل يجب تطبيقها من قبل الجميع وفي كل الظروف حتى في حرب العصابات"،<sup>101</sup> فقد كانت تفتقر إلى الصكوك القانونية اللازمة لضمان تطبيق هذا التفكير القائم على التمني على أرض الواقع. إلا أن عام 1977 وتحديداً في 8 يونيو/ حزيران 1977 شهد اعتماد بروتوكولين إضافيين إلى اتفاقيات جنيف وكان ثاني هذين البروتوكولين ينطبق على "النزاعات المسلحة غير الدولية".

ثمة قضايا عقيدية<sup>102</sup> تؤسس الطلب الذي قُدم في عام 1979 لأحد المؤرخين المستقلين بتحليل موقف اللجنة الدولية عندما ووجهت بمعسكرات التركيز والإبادة النازية. ولم تكن الدراسة التي نُشرت في عام 1988 بالضرورة محل تقدير اللجنة<sup>103</sup> إلا أنها على الأقل زودت المنظمة بحجة علمية وليست عاطفية للإجابة عن التساؤلات والانتقادات بشأن هذه الفترة المأساوية من تاريخها وهي الأسئلة والانتقادات التي تلقتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وبالإضافة إلى ذلك كان من نتائج هذه الدراسة التي لم تتحقق سوى عقب عملية طويلة من المناقشات الداخلية أن قررت اللجنة الدولية في عام 1996 فتح جزء من سجلاتها للجمهور، تضمن من عام 1939 حتى 1945. ومكن القرار المتخذ في عام 1996، والذي تجدد في عام 2004 لفترة إضافية تبلغ خمسة عشر عاماً، المنظمة من التخلص من الجدل الدائر حول ماضيها، إذ أمكن للأطراف المعنية الرجوع مباشرة إلى الوثائق ومن ثم إرساء

100 المرجع السابق نفسه. p.30

101 Michel Veuthey, *Guérilla et droit humanitaire*, ICRC, Geneva, 1983 (1st edition, 1976), introduction (1976), p. xvi.

102 كان هذا هو الافتراض الذي تقدم به Simone Delorenzi بالإضافة إلى الأبعاد التاريخية للمسألة. وتمكنت اللجنة الدولية بناء على النتائج التي تم الحصول عليها من تحديد أي المواقف التي تتخذها إذا ووجهت بمسألة مماثلة. S. Delorenzi, above note 99, p. 24.

103 انظر خاتمة اللجنة الدولية للإصدار الأول من أعمال Jean-Claude Favez, above note 65.

تهدئة نسبية في ما يتعلق بتاريخها الخاص.<sup>104</sup>

شهدت السبعينيات والثمانينيات استحواذ الإدارة على بعض أدوار اللجنة والرئاسة على المستوى المؤسسي، ولم يشغل رؤساء اللجنة الدولية المتعاقبون ("صامويل غونارد"، و"مارسال نافيل"، و"إيرك مارتين") لم يشغلوا المنصب سوى فترات قصيرة تبلغ أربع سنوات في المتوسط ولم يتمكنوا في الواقع من فرض أنفسهم كقادة مما أدى إلى هذا "التغيير" في الأدوار وتجديد شباب المنظمة في الوقت ذاته. ففي عام 1970 كان حوالي 41% من أعضائها يمارسون دورًا نشطًا في المنظمة على مدار خمس سنوات أو أقل. وفي عام 1980 كان 50% من الأعضاء يمارسون دورًا نشطًا على مدار فترة لا تتجاوز خمس سنوات وفي عام 1990 دخل حوالي ثلثي الأعضاء في تلك الفئة. وقد أدى الموقع الجغرافي للأعضاء الذين كان أغلبهم يعيشون خارج جنيف والتزاماتهم المهنية إلى الحد من الوقت الذي خصصوه للمشاركة في أنشطة اللجنة الدولية. ففي عام 1960 على سبيل المثال عندما كان تسعة أعضاء من بين الأعضاء الخمسة عشر الذين شكلوا اللجنة مقيمين في جنيف أو تمتد أصولهم إليها وكان حوالي نصفهم إما متقاعدين أو مستقلين، كان الوقت الذي يخصصه أعضاء اللجنة للمشاركة في أنشطتها أكبر مما كان عليه بعد ثلاثين عامًا. وشهدت نهاية الستينيات وصول مجموعة من شباب المندوبين الذين تعهدوا بتلبية الاحتياجات الناشئة عن النزاعات في الشرق الأوسط وغرب أفريقيا وترقى بعضهم في سلم المناصب الرئيسية في الإدارة (الإدارة العامة والعمليات وغيرها). وكان من شأن هؤلاء الموظفين المهرة المسلحين بهذه الخبرة والمسؤولية في المقر الرئيسي وفي الميدان توجيه المسار العام للأنشطة على الأقل حتى أوائل حقبة التسعينيات. حدث تحول كبير<sup>105</sup> في عام 1987 مع وصول "كورنيليو سوماروغا" على رأس المنظمة. وأكد تعيينه عودة الرئاسة طويلة الأجل<sup>106</sup>، وما تحمله من طموحات لإعادة هيكلة المنظمة، وهو ما سبق أن بدأه سلفه. وكان التغيير الأبرز والذي حدث في مايو/ أيار 1991 هو دمج مجلس الإدارة- الذي كان يجري مداولاته بشكل منفصل- في مجلس تنفيذي ضم في عضويته أعضاء اللجنة والإدارة.<sup>107</sup> وإذا فرض أن تشكيل هذا الهيكل الجديد مثل استحواذًا من جانب الرئاسة (أو اللجنة) على مجلس الإدارة، فقد يُفترض في الوقت ذاته أن دمج "السلطتين" معًا في مكان واحد سيؤدي إلى زيادة قدرة اللجنة الدولية على مواجهة كثير من تحديات فترة ما بعد الحرب الباردة.

وكان على اللجنة بدءًا من عام 1991 التعامل في الوقت نفسه مع حرب تضم تحالفًا دوليًا (حرب الخليج الثانية) وحرب أهلية في بلد بلا دولة (الصومال) وحرب أهلية ثم دولية لاحقًا (يوغوسلافيا السابقة) بالإضافة إلى المزيد من النزاعات المسلحة التقليدية (في أنغولا

104 اتخذت اللجنة الدولية في عام 2011 قرارًا معارضًا لرفع السرية عن وثائقها بالرغم من القواعد التي تحكم الاطلاع على السجلات التي أقرتها المنظمة نفسها في عام 1996. وتم إرجاء القرار الخاص بفتح جزء من سجلاتها إلى موعد لاحق.

105 بل إن Simone Delorenzi كتب عن "قطع العلاقات" مع أسلافه. انظر S. Delorenzi, above note 99, p. 31

106 ألكسندر هاي، رئيس اللجنة الدولية في الفترة بين 1976 و1987.

107 قبل مايو/ أيار 1991، كان المجلس التنفيذي، الذي خلف المكتب والمجلس الرئاسي، يتألف من أعضاء اللجنة فقط وذلك شأنها شأن أسلافه. واستمر النظام الجديد حتى عام 1998 حيث أنشأ في هذه المرحلة مجلس إدارة مستقل.

على سبيل المثال) والتي أضيفت إليها "نزاعات جديدة" أو "نزاعات فوضوية"- إذا كنا نستخدم مصطلحات اللجنة الدولية- في أفريقيا والإمبراطورية السوفيتية السابقة. وشهدت التسعينيات دخول اللجنة الدولية مناطق جغرافية جديدة<sup>108</sup> منها على سبيل المثال البلدان المنتمية إلى الاتحاد السوفيتي السابق والتي لم تمارس اللجنة الدولية بها أي نشاط منذ عام 1938 عندما أغلقت بعثتها الدائمة في موسكو وبداية عصر جديد من العنف غير المسبوق في الحروب. وقضى أكثر من ثلاثين موظفًا باللجنة الدولية في حوادث عنيفة منذ عام 1991 في سياق مهمتهم الإنسانية.<sup>109</sup> ووقعت عشرات إن لم تكن مئات الحوادث الأمنية مما شكل اتجاهًا سلبيًا يؤثر على كافة الأطراف الفاعلة في المجال الإنساني. وظهرت أساليب عمل جديدة من هذا الوضع المأساوي كانت هي الأولى في تاريخ المنظمة ومنها على سبيل المثال الاستعانة بحراسة مسلحة في الصومال. وشهدت الصومال أيضًا إنشاء أول مطابخ جماعية في عام 1992 - وهو النموذج الذي انتقل إلى سياقات أخرى وساعد على تلافي المشكلات المتعلقة بتخزين وسرقة الطعام وابتزاز المستفيدين الذين يحصلون على المساعدات.<sup>110</sup>

وكان على المنظمة أيضًا التعامل مع العنف المحتمل للحرب بجانب العنف الواقعي (للغاية). ففي 17 يناير/ كانون الثاني 1991، ناشدت اللجنة الدولية صراحة في مذكرة شفوية الأطراف المتحاربة بالامتناع عن استخدام الأسلحة الذرية.<sup>111</sup>

وعايشَت اللجنة الدولية لأول مرة في تاريخها عملية إبادة جماعية في رواندا في عام 1994 وواجهت المعضلات نفسها التي واجهتها إبان الحرب العالمية الثانية وذلك في ضوء الطبيعة المحدودة لاستجابتها خاصة مع الأخذ في الاعتبار حجم المذابح.

إلا أن السمة الأبرز التي بدأت في عام 1991 هي النمو الهائل للمنظمة من حيث عدد موظفيها خاصة في الميدان بالإضافة إلى ميزانيتها ومصروفاتها المالية. ورغم بداية هذا النمو في عام 1970، فقد أضحى متسارعًا بدءًا من عام 1991. وبالتالي حتى إن كانت المقارنة ليست سهلة بسبب الاختلافات في الأساليب المحاسبية، فإن المصروفات الخاصة بعام 1990 وحده تمثل إجمالًا أكبر من مجموع العقد من عام 1970 حتى عام 1979.<sup>112</sup> شهد عام 1991 نقطة تحول أخرى لأن اللجنة الدولية أنفقت في ذلك العام ما يتجاوز ما أنفقته في العام السابق بنسبة 160 بالمائة. ووصلت المبيعات منذ ذلك الوقت إلى مستويات لم تحققها اللجنة من قبل على الإطلاق. ولم ينخفض الإنفاق السنوي عن 600 مليون فرنك سويسري خلال العشرين عامًا المنصرمة. وبالإضافة إلى ذلك، يتجاوز الإنفاق السنوي مليار فرنك منذ عام 2007. وكانت هذه الطفرة مصحوبة بطبيعة الحال بزيادة كبيرة ومستمرة في أنشطة اللجنة الدولية وما استتبعها من زيادة في عدد المستفيدين من أنشطتها. وللتدليل على ذلك،

108 ارتفع عدد الجهات الممثلة للجنة الدولية في الميدان (بعثات البلدان والبعثات الإقليمية والوفود) من حوالي 50 في عام 1991 إلى أكثر من 80 بعد مرور عشرين عامًا، بما يمثل زيادة تقدر بحوالي 60%. ومع ذلك يجب النظر إلى هذه الزيادة في إطار إنشاء دول جديدة بدأت في عام 1990 ولا سيما أطلال يوغوسلافيا والإمبراطورية السوفيتية السابقة.

109 يستند هذا التقدير إلى وثائق داخلية وإن كان غير مكتمل لسوء الحظ.

110 S. Delorenzi, above note 99, p. 46.

111 Annual Report, ICRC, Geneva, 1991, p. 97.

112 تستند هذه الحسابات إلى التقارير السنوية للجنة الدولية في الفترة من 1970 حتى 1979.

قارن حجم التقارير السنوية الصادرة في نهايتي هذه الفترة (1991 و 2011) ولاحظ أن سمك تقرير الفترة الثانية الذي يقع في 500 صفحة يبلغ ضعف سمك تقرير الفترة الأولى.

غير أن هذا النمو ألقى بظلاله على المنظمة نفسها، إذ منحها شكلاً جديداً تماماً. وانتقلت اللجنة الدولية على مدار العقد الأخير من كونها منظمة إنسانية إلى كونها مشروعاً<sup>113</sup> إنسانياً وإن كان من الصعب الاعتراف بذلك. ورغم اختلاف أهدافها اختلافاً قاطعاً بطبيعتها الحال عن أهداف الشركات الهادفة للربح، فقد تبنت اللجنة الدولية بعض السمات التي كانت موجودة في وقت سابق في القطاع الخاص فقط ومنها على سبيل المثال اللغة أو المصطلحات الخاصة بها. وليست هذه بالمسألة التافهة لأنها تدل على تغيير في المواقف. ومن اللافت للنظر أن نلاحظ الاستخدام المتكرر في السنوات الأخيرة، في المفردات العامة للمنظمة، لمصطلحات مشتقة اشتقاقاً مباشراً من مجال التسويق (المجموعات السكانية المستهدفة) أو من الاقتصاد (الكفاءة والاقتصاد القائم على النتائج) أو من التجارة (مركز الجذب الإستراتيجي). ويمكن للمرء أن يلاحظ في مجال الاتصالات العامة للمنظمة الأهمية الخاصة التي تحظى بها النتائج القابلة للقياس الكمي إلى أقرب وحدة في كثير من الأحيان. ويبدو هذا جلياً في التقارير الأخيرة التي تتناول نشاط اللجنة الدولية والتي تشهد دوراً للمؤشرات والإحصاءات والأرقام أكثر من أي وقت مضى. ففي التقرير السنوي لعام 2001 وفي الفصل الخاص بالأنشطة التي نفذتها البعثة الإقليمية للجنة الدولية في نيروبي<sup>114</sup>، تشغل الجداول الإحصائية ثلث هذا الفصل تقريباً ويضم النص بالتالي ستة وأربعين مرجعاً. ويحتوي القسم المالي البحث في هذا التقرير السنوي أيضاً على اثنتين وسبعين صفحة من الجداول (الصفحات من 423 إلى 495 من الإصدار الفرنسي، أو بما يعادل 14% من الوثيقة برمتها)، وهو ما يساوي تقريباً نفس عدد الصفحات الخاصة بكافة أنشطة اللجنة الدولية عن العام السابق (الصفحات من 6 إلى 76)، باستثناء العمليات. ويقع على اللجنة بالتأكيد مسؤولية التبرير (المساءلة) أمام من يمولونها، والتي تلزمها بإعداد تقارير تفصيلية جداً عن نشاطها، ومسؤولية تعديل أدواتها التحليلية بشكل مستمر، وهو ما يفسر إدخال أساليب محاسبة التكاليف في عام 1999 بجانب الأساليب التقليدية. وتسير كافة الأمور اليوم كما لو كانت البيانات الرقمية وحدها قادرة على تلخيص حجم الاحتياجات الإنسانية والاستجابة التي يتعين على اللجنة الدولية تطبيقها من خلال عملها مع ضحايا العنف المسلح، ويشير إلى هذا استخدام الأرقام على نطاق واسع دون أي إطار محاسبي.

113 التعريف المعتاد للمشروع هو: "المشروع مصطلح يشير إلى مجموعة من الموارد البشرية والمادية وغير الملموسة (الخدمات) والمالية التي تندمج بطريقة منظمة لتحقيق أهداف ربحية وغير ربحية، وتتضمن في أغلب الأحيان توريد سلع أو خدمات إلى مجموعات شبيهة مفتوحة من العملاء أو المستخدمين في بيئة تنافسية بعض الشيء". ومن خلال تجاهل الطبيعة "الهادفة للربح" للمشروع واستبدال مصطلح "المستفيدين من العمل الإنساني" بمصطلحي "الزبائن" و "المستخدمين"، يغطي هذا التعريف مهمة اللجنة الدولية بوضعها الحالي، بما في ذلك فكرة التنافس مع منظمات إنسانية أخرى. انظر

<http://fr.wikipedia.org/wiki/Entreprise> (last visited 16 August 2012); for the English, see <http://en.wikipedia.org/wiki/Business>

114 أختيرت عشوائياً من 186-191، pp. *the Annual Report*, ICRC, Geneva, 2011.

تنعكس الطبيعة المؤسسية للمنظمة أيضًا في مجلس إدارتها. فبعد أن أصبح جهة اتخاذ قرار في حد ذاته منذ عام 1998، لم تقتصر سيطرته على الإدارة اليومية للجنة الدولية بل أصبح أيضًا ينهض بدور متزايد على مدار السنوات في رسم الإستراتيجيات والمبادئ التوجيهية للمنظمة. وهو يجسد في حد ذاته "الرغبة" في "تحسين" (مفهوم اقتصادي آخر) عمل اللجنة الدولية.<sup>115</sup> وتوجه الدعوة لموظفين من القطاع الخاص، لا يمتلكون أحيانًا خبرات مهنية سابقة في العمل الإنساني أو الاجتماعي وإن كانوا مؤهلين بصورة كبيرة لمناصب إدارية مهمة داخل المنظمة، ويعد ذلك جزءًا من هذه السياسة الرامية إلى البحث عن الكفاءة كما هو الحال مع الجهات/ البرامج الخاصة (الكثيرة) التي صُممت لتخطيط الأنشطة والمشاريع ومتابعتها. وتهدف السياسة العامة إلى نيل نتائج من الدرجة الأولى (الإدارة القائمة على أساس النتائج) ووفقًا لما تشير إليه عقيدة المنظمة. ويعد التخطيط للمستقبل بجانب وضع رؤية وإستراتيجية لتحقيق الأهداف والنتائج المقررة أيضًا من السمات الرئيسية للريادة في مجال الأعمال.<sup>116</sup>

وبالإضافة إلى ذلك ونتيجة لرغبة المنظمة في الحضور على المستوى العالمي وفي الوقت نفسه الإبقاء على مركز اتخاذ القرار الرئيسي بها في جنيف وكذلك من خلال "نقل" بعض خدماتها إلى الخارج لأسباب مالية، تتوافق اللجنة الدولية إلى حد ما مع التعريف العام<sup>117</sup> للشركات متعددة الجنسيات وإن كان هدفها الأساسي يختلف اختلافًا جذريًا عن هدف الشركات متعددة الجنسيات. ويؤكد هذه الظاهرة تدويل المنظمة التي يوجد بمقرها الرئيسي موظفون أجانب أكثر مما لديها من الموظفين المحليين (منذ عام 1990<sup>118</sup>) وأيضًا حقيقة أن نسبة الموظفين الأجانب<sup>119</sup> على مدار السنوات العشر الماضية كانت أكبر بكثير من عدد الموظفين السويسريين.

غير أن هذه التغييرات لم تنفرد بها اللجنة الدولية بل كانت سمةً لاتجاه يمكن ملاحظته بدرجات متفاوتة في العالم الإنساني. ويبرز هذا التطور ما يبدو أنه يمثل مفارقة: إما من ناحية الأولوية الاقتصادية في مجال من مجالات النشاط التي يجب استخلاصها في جوهرها من القواعد والمعايير الاقتصادية أو نعترف بأن الإنسانية كانت ولا زالت تخضع لقوانين السوق حيث إنها توفق بين العرض (الاحتياجات والوسائل الإنسانية) وبين الطلب (التمويل من أطراف أخرى). إلا أننا وفي ظل مناخ اقتصادي كلي متباطئ يشهد سلسلة من الأزمات منذ عام 2000، يمكن أن نتفهم السبب في أن المنظمات الإنسانية تظهر هي الأخرى سلوك الأطراف العاملة في السوق وهو ما يحدث بالتأكيد بدون وعي. ويزيد من تفاقم هذه الظاهرة

115 "تحسين أداء اللجنة الدولية"، *Annual Report*, ICRC, Geneva, 2011, p.51

116 انظر

<http://fr.wikipedia.org/wiki/Entrepreneuriat> (last visited 20 July 2012); for the English, see <http://en.wikipedia.org/wiki/Entrepreneurship>

117 انظر

Charles-Albert Michalet, *Le capitalisme mondial*, Presses Universitaires de France, Paris, 1998.

118 لا يضع التعريف في الاعتبار الموظفين المحليين.

119 B. Troyon and D. Palmieri, above note 26, p. 110.

التنافس "الطبيعي" في ما بينها في عالم تتقلص فيه الموارد المالية. فإذا كان المال هو عصب الحرب، فهو أيضًا كذلك بالنسبة للأنشطة الإنسانية. والسؤال الواقعي هو إلى متى يمكن لنمو اللجنة الدولية أن يستمر.

## الخاتمة

كان السؤال المتعلق بالإلى متى كان يمكن لنمو اللجنة الدولية أن يستمر غائبًا عن أذهان مؤسسيها في عام 1863 عندما اختاروا مساعدة ضحايا الحرب. وهو النشاط الذي بدأتها اللجنة الدولية ليستمر فترة طويلة جدًا. ومن المؤكد أن اللجنة الدولية قللت من مخاطر اختفائها بعد فترة قصيرة بالاعتماد على الأمل في أنها لن تختفي بين عشية وضحاها. وبالإضافة إلى ذلك ومن خلال رغبة مواطني جنيف الخمسة في "إضفاء الطابع الإنساني على الحرب"<sup>120</sup> وعدم محاولة القضاء عليها، فقد حافظوا أيضًا على مستقبل العمل الإنساني "سليمًا" حتى بالقدر الذي جلب عليهم سوء الفهم والنقد من الأوساط الراضية للحرب.<sup>121</sup> إلا أن هذا لا يفسر بشكل كافٍ استمرارية اللجنة الدولية لأن مبادرات أخرى مشابهة كانت غير ناجحة<sup>122</sup> حتى أن بعضها كان معاصرًا للجنة الدولية. ولم يكن اهتمامها بالحرب وجذب اهتمام الآخرين إليها وإلى المعاناة التي تسببها كافيًا للتطلع إلى الاستمرار عبر القرون.

وكما هو الحال على مر التاريخ، لعبت الصدفة دورًا بالتأكيد في طول عمر المنظمة خاصة في مراحلها المبكرة حين كانت مجرد بناية صغيرة. وقد أسس الجنرال "دوفور" في وقت سابق علاقات مع "لويس-نابليون بونابرت" (الذي أصبح في المستقبل "نابليون الثالث") عندما كان في المنفى في سويسرا. وكان ذلك أحد الأحداث العرضية التي ساعدت اللجنة الدولية- التي كان الجنرال "دوفور" نفسه عضوًا فيها- عندما جاءت لطلب دعم فرنسا. وكانت فرنسا وقتها أقوى دولة في القارة لتنظيم مؤتمر دولي في عام 1864،<sup>123</sup> وانعكست مكانتها أيضًا على لجنة الخمسة. إلا أن دور الصدفة تقلص بمرور الوقت، إذ إن الخبرة التي اكتسبتها اللجنة الدولية على مدار عدد متزايد بشكل غير مسبوق من السنوات مكنتها من مواجهة التحديات.

إن ذكر الجنرال "دوفور" يقدم مسارًا ثانيًا للتفكير في التأثير الذي أحدثته شخصيات عظيمة على مستقبل المنظمة. فبدون المثابرة والعمل الدؤوب من جانب "غوستاف مونييه"

120 Dr Louis Appia, *Rapport sur ma mission au Schleswig* [Report on my mission to Schleswig], 1864, quoted by André Durand, *Histoire du Comité international de la Croix-Rouge, De Sarajevo à Hiroshima*, ICRC, Geneva, 1978, p. 160; for the English version see, *History of the International Committee of the Red Cross, From Sarajevo to Hiroshima*, ICRC, Geneva, 1984.

121 André Durand, 'Gustave Moynier et les sociétés de la paix', in *RICR*, No. 821, September–October 1996, p. 588

122 للاطلاع على المثال الخاص بهنري أرولت، انظر Véronique Harouel, *Genève-Paris, 1863–1918. Le droit humanitaire en construction*, Société Henry Dunant/CICR/Croix-Rouge Française, Geneva, 2003, pp. 105–110.

123 المرجع السابق نفسه. pp. 80 ff. حتى أن Véronique Harouel كتبت تقول بشأن هذا الحدث: "مؤتمر منعقد تحت رعاية "محمية فرنسية"."

(أول رئيس "فعلي")<sup>124</sup>، كانت اللجنة الدولية ستصبح، رغم اسمها، جمعية صغيرة توجد في مدينة ذات طابع ريفي. وقد خرجت المنظمة منتصرة من حربها ضد الرابطة في أوائل العشرينيات، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى الروح القتالية والقدرة التي تمتع بها "مارغريت (فريك) كريمر" و"غوستاف أدور". وتصدت اللجنة الدولية، تحت قيادة "بول رويغير"، للهجوم الجماعي من الكتلة الشرقية والصليب الأحمر السويدي في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وعلى عكس المتوقع، خاطر بعض "الرجال العظام" بكل شيء لتدميرها، فعلى سبيل المثال دافع "وليام رابارد" عن مصالح الرابطة رغم كونه عضواً باللجنة، و"كارل جاكوب بورشاردت" ودوره الغامض في علاقته بألمانيا<sup>125</sup> أثناء حكم هتلر.

وكانت الأحداث الخارجية بطبيعة الحال عوامل مهمة في ضمان استمرار المنظمة. فبدون الحرب العالمية الأولى في الفترة من عام 1914 حتى عام 1918 ونتائجها المباشرة، ربما لم تكن اللجنة الدولية لتقف على المحك وتشهد التحول من كيان "حرفي" محدود النطاق إلى منظمة دولية حقيقية لها أنشطة عابرة للحدود. وأيضاً بدون المواجهة التي وقعت بين الشرق والغرب، لم يكن ليتم التعرف على القيمة الحقيقية لدورها كطرف إنساني محايد.

شكل السياق الذي تطورت فيه اللجنة الدولية تهديداً لمستقبلها أيضاً. فقد كان تردد قيادة الأركان العامة الفرنسية (كان الجيش الفرنسي يعد هو الأفضل في القارة) في دعم خطط "دونان" وردود الفعل السلبية الأولى للممثلين الفرنسيين في مؤتمر عام 1863 كقيلة بواد المنظمة قبل تأسيسها. ولكن للمفارقة، جاءت أخطر التهديدات من المنظمة التي كانت على أكبر درجة معرفة بها لأنها أنشأتها بنفسها وهي الصليب الأحمر. فقد كان من بين "الحلفاء" الذين اكتشفت المنظمة في النهاية أنهم أخطر معارضيها- من الصليب الأحمر الروسي في أواخر القرن التاسع عشر إلى الجمعية الوطنية السويدية بعد عام 1945 بالإضافة إلى إنشاء الرابطة. وهاجمها كل هؤلاء "الأعداء" من الداخل بسبب نقطة واحدة فريدة إلا أنها شكلت قوتها في مواجهة العالم الخارجي وهي الجنسية السويسرية الأحادية لأعضاء اللجنة الدولية.

إلا أن سنوات نشاط اللجنة الدولية المائة والخمسين ترجع أيضاً بدرجة كبيرة (إن لم يكن بدرجة أساسية) إلى خصوصيتها الفريدة. فقد اتضح هذا العنصر، بغض النظر عن كونه بديهياً، من خلال جانبيين رئيسيين.<sup>126</sup> الأول أن اللجنة الدولية مارست مهامها لفترة طويلة كمنظمة متجانسة أخذت شكل جماعة أسرية من جنيف خلال سنواتها الست الأولى. وكان لفتح إدارة المنظمة للأجانب (السويسريين) المقربين في عام 1923 تأثير بسيط في تغيير تشكيل المنظمة لأن الدخلاء الجدد اختيروا على أساس معايير سياسية واجتماعية مشتركة تسهلاً لدمجهم في المنظمة. وشهدت حقبة الثلاثينيات اختيار الأفراد المشاركين في الأنشطة الميدانية على أساس معايير مشابهة، إذ كان يتم الاختيار بشكل مباشر أو غير مباشر من قبل السلطات

124 كان الجنرال دوفور أول رئيس رسمي للجنة الدولية (ICRC Archives, A PV, Minutes, Commission spéciale de la Société, 17 February 1863)

إلا أنه شغل المنصب لفترة قصيرة جداً وكان دوره هامشياً.

125 Paul Stauffer, *Sechs furchtbare Jahr: Auf den Spuren Carl J. Burckhardts durch den Zweiten Weltkrieg*, NZZ Verl., Zurich, 1998.

126 إن الطريقة السرية التي تعمل بها اللجنة الدولية يمكن أيضاً، على الأقل منذ الثلاثينات، أن تفسر استدامة المنظمة. وكان من قبيل المفارقة أن تكون هذه السرية هي الأكثر تعرضاً للنقد من جانب العالم الخارجي.

العليا في اللجنة الدولية. ويعني هذا أن قاعدة المنظمة ورأسها أيضًا كانا يمارسان مهامها في انسجام تام. وفي الوقت الذي وصف فيه البعض<sup>127</sup> عمل اللجنة الدولية بأنه نخبوي، وقد كان كذلك في الواقع، سمح هذا للمنظمة بالنجاح في توحيد أهدافها في أوقات الأزمات.<sup>128</sup> وقد ثبت أن حجم المنظمة الصغير نسبيًا،<sup>129</sup> الذي قد يراه البعض عقبة، كان يمثل عامل تماسك إضافيًا شأنه شأن معيار الجنسية السويسرية المنفردة. واستمر هذا النمط أيضًا خلال الفترة من أواخر حقبة الستينيات حتى أوائل حقبة السبعينيات عندما عينت المنظمة عددًا كبيرًا من الموظفين لعملياتها بالخارج وانسحبت اللجنة من تدبير شؤون أنشطة المنظمة اليومية، لتتركها للإدارة. ولكن بحلول ذلك الوقت كانت هناك "أفواج" كاملة من المندوبين ممن لهم خبرات عامة وكفلوا تجانس المنظمة وهويتها بالإضافة إلى طبيعتها شبه العائلية<sup>130</sup> التي حافظت عليها. وأضيفت نخبوية القاع إلى نخبوية القمة.

والثاني هو قدرة اللجنة الدولية وموظفيها على الابتكار. وتحققت هذه القدرة في الواقع في أغلب الأحوال من خلال مبادرات شخصية أدت باللجنة الدولية إلى دخول مجالات نشاط جديدة والاهتمام بفئات جديدة من الضحايا لم تكن تمثل من قبل جزءًا من مهمتها. وجاءت المبادرة من القمة، وكان أعضاء اللجنة هم أول من فتح مجالات جديدة من العمل الإنساني، ومن أمثلة ذلك الدكتور فريدريك فيريير ونشاطه في القسم المدني في الوكالة الدولية لأسرى الحرب،<sup>131</sup> وهو القسم الذي بُني من عدم. وتحققت هذه القدرة على الابتكار أيضًا في مجال الحرب حيث حاول مندوبو اللجنة الدولية تخفيف معاناة الضحايا عندما كان عليهم تلبية احتياجات هؤلاء الضحايا. وحدث أفضل مثال على ذلك في المجر في عام 1919 حيث استجاب المندوب رودلف هاكيوس من تلقاء نفسه لدعوة من السلطات الثورية وزار المعتقلين السياسيين لأول مرة، خارج أي إطار قانوني قائم. وأقرت هذه السابقة بعد ذلك بعامين حيث أقر المؤتمر الدولي العاشر للصليب الأحمر سلطة اللجنة الدولية بالتدخل أثناء الحروب الأهلية أو الاضطرابات الثورية. وبالمثل، سلم المندوبون أثناء الحرب العالمية الثانية "وثائق سفر" بمبادرة شخصية منهم إلى الأفراد (أسرى الحرب اليوغوسلافيين في إيطاليا، والطائفة اليهودية في رومانيا وغيرهما) لتسهيل عودتهم إلى بلادهم أو هجرتهم. وبعد دمج هذه الأنشطة على مستوى مؤسسي عقب الحرب، أدت هذه الأنشطة إلى استحداث نشاط ووثائق السفر التي تصدرها اللجنة الدولية ولا يزال ساريًا حتى اليوم.<sup>132</sup> وكان من الثوابت التي ترسخت على مدار تاريخ اللجنة الدولية أن اللفتة الإنسانية كانت دائمًا تسبق تقنينها. ودعمت هذه "الأعمال المتقدمة" كلاً من الأنشطة الخارجية- التي كانت تستلزم استجابة فورية من

127 D. Fiscalini, above note 6.

128 إلا أن هذا لا يعني أن اللجنة الدولية لم تشهد خلافات داخلية كانت تُسوى بشكل عاجل في أغلب الأحوال (انظر استقالات Rappard أو Sydney Brown، الأمين العام للجنة الدولية).

129 كانت اللجنة الدولية منظمة صغيرة نسبيًا قبل الثمانينات. ورغم الزيادة الكبيرة في أعضائها أثناء الأزمات المهمة (الحروب العالمية، حرب بيفافرا وغيرها)، فقد كانت هذه الزيادة لفترات قصيرة فقط.

130 يتضح هذا من خلال استخدام المندوبين لأسماء مستعارة مثل دودو وكوكو وغيرها.

131 Jessica Pillonel, *La Grande Guerre 1914–1918, un nouveau défi pour le CICR ? L'Agence internationale des prisonniers de guerre et son action en faveur des civils*, mémoire de Master, Faculté des Lettres, Université de Genève, 2012.

132 I. Herrmann and D. Palmieri, *Refugees on the Run*, above note 62.

المندوبين بدون استغراق أي وقت لاستشارة جنيف<sup>133</sup> - وأيضًا البنية الهرمية البسيطة التي منحت حرية أكبر في العمل والمبادرة لموظفيها حتى وإن تعرضت للرفض في ما بعد بمجرد علم المقر الرئيسي بها!

ألم يكن هذا الأداء المزدوج الذي يتمتع بخصوصية شديدة يمثل في النهاية تفسيرًا لكيفية قدرة اللجنة الدولية على التغلب على الأزمات العديدة على مدار المائة والخمسين عامًا من تاريخها؟ وعندما يعزى انقسام اللجنة غير المسبوق عن ماضيها إلى عوامل مثل حجمها وتشكيلها وإدارتها وأساليب عملها<sup>134</sup>، ألا يجب على المنظمة أن تسأل نفسها عن مستقبلها الخاص؟

133 تفاقم هذا الأمر بسبب المسافات الجغرافية ووسائل الاتصال البطيئة والمحدودة التي كانت موجودة في ذلك الوقت.

134 المصطلح المقابل لمستوى الاحترافية الأعلى باللجنة الدولية.